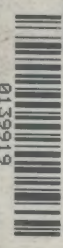


عنوان
ملاحظات
تاريخ

مكتبة
الإكسپريز



Bibliotheca Alexandrina



0139919

ذِيَّوَانُ
الوزير المصري
طَالِيعُ بْنُ رُزَيْكٍ

الدكتور انجب راحمد بدوي
أستاذ النقد الأدبي المساعد
بكلية دارالعلوم - جامعة القاهرة

مكتبة نخبه
مكتبة نخبه مصر
بمكتبة نخبه مصر
١٨ شارع كامل صديق

مَطْبَعَةُ السَّالَةِ
٣ شارع حمودة المقاول - نابرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

- ١ -

استيقظ القصر الفاطميّ صبيحة اليوم السادس عشر من المحرم ، سنة تسع وأربعين وخمسمائة - يبحث عن الخليفة الظافر بأمر الله ، في مخدعه ، وعند الحرم ، وفي حجرة العرش ، فلم يعثر له على أثر ، وعندما أقبل وزيره : عباس الصنهاجيّ ، كعادته في الصباح ، مع ألف رجل يحملون السلاح ، طلب الإذن في أن يقابل الخليفة ، كي يطلعه على أمور الدولة ، وحين أخير بغيثته أظهر الغضب ، وأمر فأحضر أخوا الخليفة القائب ، فقتلها ، زاعما أنّهما كانا يتفلسفان على أخيهما الخلافة ، وأنهما قتلاه ، ومضى إلى طلل للظافر ذي خمس سنين ، نادى به خليفة ، ولقبه الفاتر بنصر الله ، وأخذ عباس ما أراد من الأموال والجواهر والذخائر النفيسة ، ولم يترك إلا مالا خيرا فيه . . .

لم يستسخ أهل القصر ما حدثهم به الوزير عباس ، ولم يرتضه الشعب ، ولم يلبث الناس أن وقعوا على الخبر الصحيح ، وعلموا أنّ القاتل للخليفة إنما هو نصر بن عباس ؛ لأمر مريبة كانت بينهما ، فاستغظموا أمر هذه الجريمة الشنيعة ، وثارَت القاهرة ، وانتشر القتال في الطرقات ، وأسرع أتباع عباس بالتخلّي عنه ، وأخذ الناس يسمونه المكروه في الشوارع ، وألقى عليه في يوم

قدر مخلوعة ماء حاراً ، وفي آخر قذف بهاون من النحاس ، وبعثوا إلى طلائع
بن رزيك أحد ولاة الصعيد ، يستجدون به على عباس وابنه نصر ، وأرسلت إليه
أخوات الظافر بشعورهن في كتب كلها سواد ، وكتب إليه فيمن كتب القامى
الجليس بن الحجاب ، قصيدة منها :

دهتى عن نظم القريض عوادى وشفّ قوّادى شجوه التماذى
وأزق عيني ، والعيون هراجع هموم أقضت مضجعى ووسادى
بمصرع أبناء الوصوّ ، وعقرة النّجى ، وآل الذّاريات وصاد
فأين بنورزيك عنهم ونصرم ومالم من منعة وزياد
أولئك أنصار الهدى وبنو الرّدى وسم العدا من حاضرين وباد
لقد هدّ ركن الدّين ليلة قتله بخير دليل للنّجاة وهاد
تدارك من الإيمان قبل دثوره حشاشة نفس آذنت بنفساد
فلو عاينت عينك بالقصر يومهم ومصرعهم لم تكتمل برقاد

فلما بلغ ذلك طلائع بن رزيك حشد جموعه ، وأقبل على القاهرة ،
لابسا السّواد ، حاملاً شعور حرم الخليفة على الرّماح ، ودخل قصر الوزارة ،
في التاسع من ربيع الأوّل ، وتلقب بالملك الصّالح ، وأخرج جسد الظّافر من
البئر التى قد رمى فيها بعد قتله ، وجعله فى تابوت ، ومشى بين يديه إلى مرقده
الأخير ، حافياً مكشوف الرأس ، وفعل الناس مثل ذلك ، وكثر فى هذا اليوم
الضّجيج والبكاء والعويل .

وأما عباس وابنه ، فعندما قرب طلائع من القاهرة فرّا ، ومعها ما يملكه ، مما يستطيعان حمله طالبين الشرق ، فاعترضهما الفرنج ، فقاتلا حتى قتل عباس ، وأخذت أمواله ، وأسر ولده نصر ، وأرسل إلى مصر في قفص من حديد ، وخلعت يده ، وضرب ضرباً مهلكاً ، وقرض جسمه بالمقاريض ، ثم صلب على باب زويلة حياً ، حتى مات ، وبقي مصلوباً إلى يوم عاشوراء سنة ٥٥١ هـ ، ثم أنزل ، وأحرقت عظامه .

وُلِّيَ طلائع الوزارة للفائز ، والسَّجَلُ الَّذِي أنشأه له كاتب ديوان الإنشاء : الموفق يوسف بن الخلال - يسجل ما أدام طلائع : من إنقاذ الخلافة ، والإسراع إلى نجاتها ، إذ يقول : « وإن أمير المؤمنين ... يقدر نعم الله حقّ قدرها ، ويواصل المكوف على الاعتداد بها ونشرها ، ويبالغ في شكرها قولاً وعملاً ونيةً ، ويمجد نفسه في حمدّها اجتهداً يرجو به درك الأمانة ، ويتحقق أنّ أسماها محلاً وقدرًا ، وأولاهها على كافة البرية ثناءً وشكراً ، وأعلاها قيمةً ، وأعمّها نفعا وأعذبها ديمةً ، وأجمعها لضروب الجذل والاستبشار ، وأجدرها بأن تؤثر في الأمم أحسن الآثار ، وأوسعها في مضمار الإعتداد مجالا ، وأعظمها على الرئيس والمرؤوس نفعا وجمالا - النعمة بك أيّها السَّيِّدُ الأجل ، إذ كنت نجمة الله المذخورة لأماناته على خلقه ، والقائم دون البرية بما افترضه عليهم من مظاهرة أمير المؤمنين والأخذ له بحقه ، واللطف الذي كان بين الإمامة وبين إعدامها حاجزا ، والتصر الذي أصبح أمير المؤمنين بعون الله به فائزا » .

وتمضى فى قراءة السّجل ، فترى فيه تفويض كلّ أمر إلى الوزير ، فضلا عن نصيبه كفيلا للخلافة ، يقول السّجل : «لذلك من وزارته ، وفوض إليك تدبير مملكته وكفالاته ، وجعل لك إمارة جيوشه لليامين ، وكفالة قضاء المسلمين ، وهداية دعاة المؤمنين ، وتدبير ما هو مردود إليهم من الصّلاة والخطابة وإرشاد الأولياء المستجيبين ، والنظر فى كل ما أغدقه الله من أمور أوليائه أجمعين ، وجنوده وعساكره للوئدين ، وكافة رعاياه بالحضرة ، وجميع أعمال المملكة دانيها وقاصيها ، وسائر أحوال الدّولة بأديها وخافيتها ، . . . وردّ إليك تدبير ما وراء سرير خلافته ، وسياسة ما تحتوى عليه أقطار مملكته ، وألقى إليك مقاليد البسط والقبض ، والرفع والخفض ، والإبرام والنقض ، والقطع والوصل ، والولاية والعزل ، والتّصرف والصّرف ، والإمضاء والوقف ، والنقض والتّنبية ، والإخمال والتّنويه ، وجميع ما يقتضيه صواب التدبير من الإنعام والإرغام ، وما توجبه أحكام السياسة من الإياء والإتمام ، . . . » .

وقد سار طلائع بهذا التفويض ، فلم يدع للخليفة الفائز أمرا ، وأى أمر لصبي لا يعرف من شئون السياسة شيئا ، ويصاب بالصرع بين الحين والحين ؟ وصفت الأمور لطلائع ، وكان رجلا حازما قويا بمواهبه الشخصيّة ، عنى بعد دفن الظافر بإعادة النظام إلى نصابه ، ومعاقبة من كان سبب الفوضى بالقاهرة ، وثبت سلطان القانون .

غير أنّه إذا كان قد نجح فى توطيد النظام والأمن فى مصر ، فإنّه لم ينجح فى أن يعقد صلة بين مصر ونور الدين محمود حاكم الشام ، فإنّ الحذر المطلق

الذى كان يملأ نفس نور الدين ، وأنه رجل مسلم غيور وقف نفسه على أن يحارب حروبا مقدسة ضد الفرنج ، كل ذلك حال بينه وبين أن يعقد صلة مع خلفاء مصر ، وعقائدهم في نظره باطلة بدعية . وكان الصالح طلائع مشتاقا إلى أن يعقد الصلة مع نور الدين ، فعندما أرسل حملة عسكرية في البر ، وأسطولا كبيرا في البحر ، لفرو غزوة وعسقلان ، وأنحن جنده في المدوة سنة ٥٥٣ هـ ، وعاد سالما ظافرا — انتهز طلائع هذه الفرصة ، وأرسل إلى الشام عدة قصائد ، يمجّد فيها هذا الظفر ، ويحثّ نور الدين على غزو الفرنج ، ولكن هذه القصائد لم تجد أذنا مصفية من نور الدين ، بل أرسل ابن رزيك بعثة رسمية إلى دمشق مع هدايا لطيفة ، وسبعين ألف دينار تنفق في الحرب للقدسة ، ولكن ضاع كل ذلك سدى ، وأخفق ابن رزيك في أن يعقد محالفة للعمل المشترك ضد الصليبيين ، مع شدة رغبته في التضايف والعمل على إخراجهم . وظلّ طول حياته يشغف لهذا الهدف ، ويتألم لأنه لم يتحقق ، ولو أن مصر كانت قوية في ذلك الحين ، أو كانت عقائدها كمعقائد دمشق ، لكان اتحاد مصر والشام جديرا بأن يقذف الصليبيين إلى البحر .

ولقد ثقلت سياسة طلائع الاستبدادية على عمّة الفائز ، وقد كان الخليفة في تديرها ، فشرعت في العمل على قتل طلائع ، ودبرت لذلك مؤامرة انتهت بقتل عمّة الفائز الكبرى ، ونقل كفاالة الخليفة إلى عمته الصغرى ، التي حاولت هي الأخرى التخلص من الوزير وقتله ، غير أن المؤامرة التي دبر لابغتياله لم تنجح إلا في إصابته بجرح ، وظلّ وزيرا حتى مات الفائز في رجب سنة ٥٥٥ هـ ، وهو ابن إحدى عشرة سنة وشهور .

ولم يختار ثلاث رجلا ناضجا من الأسرة المالكة ، بل اختار لجل هذا العبد طفلا ، وبهذا تمّ الأمر للصالح ، وصار صاحب السلطان المطلق في مصر ، ولكن أسرة الخليفة دبّرت له مكيدة راح ضحيتها ، فبات جريحا بعد عام من ولاية العاضد ، في رجب سنة ٥٥٦ هـ .

وكان لما ندم عليه ، وهو يجود بأنفاسه الأخيرة ، أنه لم يوجه كل جهوده لإخراج الصليبيين من الشام ، وقد حزن الناس عليه يوم مات ؛ لما كان منه : من حفظ النظام ، واستتباب الأمن .

قال عمارة النبي عنه : « ولم تكن مجالس أنسه تنقطع إلا بالذاكرة في أنواع من العلوم الشرعية والأدبية ، وفي مذاكرة وقائع الحروب ، مع أمراء دولته . . . وكان مرتاضا ، قد شتم أطراف المعارف ، وتميّز عن أجلاف الملوك الذين ليس عندهم إلا خشونة مجردة ، وكان شاعرا ، يحبّ الأدب وأهله ، ويكرم جلسيه ، وييسط أنيسه ، وكان كرمه أقرب إلى الجزيل من الهزيل » .

وتوثقت الصلة بين عمارة والوزير ، منذ قدم عمارة إلى مصر ، وأنشد الخليفة الفائز ووزيره تلك القصيدة البارة التي أولها :

الحمد للعيس بسد العزم والهمم حمدا يقوم بما أولت : من التعم
وفيها يقول :

أقسمت بالفائز المعصوم معتقدا فوز النجاة وأجر البر في القسم
لقد حمى الدين والدنيا وأهلها وزيره الصالح الفراج للنعم
اللابس الغر لم تنسج غلائله إلا يد الصنعين : السيف والقلم
وجوده أوجد الأيام ما اقترحت وجوده أعدم الشاكن للعدم
أرى مقاما عظيم الشأن ، أوهمني في يقظتي أنها من جملة الحلم
ترى الوزرة فيه وهى باذلة عند الخلقة نصحا غير متهم
عوطف علمتنا أن بينهما قرابة من جميل الرأي لا الرحم
خليفة ووزير مدته عدلها ظلّا على مفرق الإسلام والأمم

وكان الصالح يستعيد تلك القصيدة وهى تشد صرارا ، وكافأ الشاعر عليها
بخمسمائة دينار ، ولم تنقطع الصلة بين الشاعر والوزير ، يبعد هذا في المدح
والإطراء ، وذلك يندق عليه ، ويوالى برّه وإنصامه ، ولم يمنع اختلاف المذهب
من وثاق الصلة بينهما ، فقد كان عمارة سقى للذهب ، أما طلائع فكان شيعيا
متمسبا للتشييع ، قال عمارة : « وكانت تجرى بحضرته مسائل ومذاكرات ،
ويأسرنى بالغوص مع الجماعة فيها ، وأنا بمنزل عن ذلك ، لا أنطق بحرف واحد ،
حتى جرى من بعض الأمراء الحاضرين في مجلس السر من ذكر السلف
ما اعتمدت عند ذكره وسماعه قول الله عز وجل : « فلا تقعد معهم ، حتى
يخوضوا في حديث غيره » ، ونهضت فخرجت ، فأدركنى التللمان ، قلت :
حماة يمتادنى وجعها ؛ فتركونى ، وانقطعت في منزلى أياما ثلاثة ، ورسوله في كل

يوم والطبيب معه ، ثم ركبت بالنهار ، فوجدته في البستان المعروف بالخنصر ، في خلوة من الجلساء ، فاستوحش من غيبي ، وقال : خيرا . فقلت : إني لم يكن بي وجع ، وإنما كرهت ما جرى في حق السلف ، وأنا حاضر ؛ فإن أمر السلطان يقطع ذلك حضرت ، وإلا فلا ، وكان لي في الأرض سعة ، وفي الملوك كثرة ؛ فسجبت من هذا ، وقال : سأنتك بالله ، ما الذي تعتقد في أبي بكر وعمر ؟ قالت : أعتقد أنه لولاها لم يبق الإسلام علينا ولا عليكم ، وأنه ما من مسلم إلا ومحبتهم واجبة عليه ؛ ثم قرأت قول الله تعالى : « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه » ؛ فضحك ، وكان مرتاضا حسيئا ، قد لقي في ولايته فقهاء السنة ، وسمع كلامهم » .

وحاول طلائع أن يغري عمارة بالتحول في مذهب الشيعة ، ولكن الشاعر أنجى . أرسل إليه يوما رقعة فيها أبيات بخطه ، ومعها ثلاثة أكياس ذهب . والأبيات قوله :

قل للفقيه عمارة : ياخير من أخى يؤلف خطبة وخطابا
أقبل نصيحة من دعاك إلى الهدى قل : حطة ، وادخل إلينا البابا
تلق الأئمة شافعين ، ولا تمجد إلا لدينا ، سنة وكتابا
وهل أن يعلو محلك في الورى وإذا شغعت إلى كنت مجابا
فأجابه عمارة بهذه الأبيات :

حاشاك من هذا الخطاب خطابا ياخير أملاك الزمان نصابا
أما إذا ما أفسدت عساؤكم مسمور مستقدي ، وصار خرابا

ودعوتهم فكرى إلى أقوالكم من بعد ذلك أطاعكم وأجابا
فاشدد يديك على صفاء محبتي وامنن على ، وسد هذا البابا
وأغلق ملاحع الباب ، وترك حارة على ما يعتقد ، ودام الود بينهما طول
حياة الوزير ، فلما مات رثاه الشاعر بقصائد كثيرة ، منها قوله :

أف أهل ذا النادى علم أسائله فإني لما بي ذاهب الأب ذاهله
سمعت حديثا أحسد الصم عنده ويذهل واعي ، ويخرس قائله
قد رايت من شاهد الحال أننى أرى الدست منصوبا ، وما فيه كائله
وأنى أرى فوق الوجوه كآبة تدل على أن الوجوه ثواكله
ولم لا نكيه وتندب قدده وأولادنا آيت اسمه وأرامله ؟

وقويت صلة وزيرنا بشاعر آخر من أكبر شعراء العصر ، هو أسامة بن
مقذ أحد أمراء الشام ، وقد ترأس الوزير والأمير بالشعر ، وشارك كل منهما
صاحبه فيما يصيبه من الخير والشر . وكثيرا ما أرسل لللك الصالح إلى أسامة
بوسطه لدى نور الدين ، ليتجدا معاهد الفرنج ، وكان أسامة يحمل للوزير
التقدير والإجلال ، وكل شعره في اللك الصالح له هذا الطابع ، يتحدث عن
شجاعته وجوده وجهاده للفرنج ، كل ذلك في أسلوب قوى ، يملؤه الإعجاب
بطلانح ، كقوله :

خِشْتِي أَلْتَجِي إِلَيْهِ مِنَ الْخَطْب ، وَوَفَرِي إِنْ غَالِ وَفَرِي غَوْل
 بِعَلَاءِ أَسْمُو ، وَمَنْ فَضْلَ مَا نَوَّلَ أَقْضَى فَرَضِ الْعَلَا ، وَأُنَيْلَ
 مَلِكٍ يَذْكُرُ لِلْوَاعِيدِ وَالْمُهْدِ ، وَيَنْسِيهِ فَضْلُهُ مَا يَنْبِيلُ
 مَلِكُهُ مَلِكُ رَحْمَةٍ ، وَقَضَايَاهُ بِمَا جَاءَنَا بِهِ التَّنْزِيلُ
 أَنْتَ حَلَيْتَ بِالْمَكَارِمِ أَهْلَ الْعَصْرِ ، حَتَّى تَعْرِفَ الْجَهْلُولُ
 وَعَلَا خَامِلٌ ، وَحَامِي جَبَانٍ وَوَفَى غَادِرٌ ، وَجَادٌ بِخَيْلٍ
 وَحَيْتَ الْبِلَادِ بِالسَّيْفِ ؛ فَاسْتَصْعَبَ مِنْهَا مَهْلٌ ، وَعَزَّ ذَلِيلُ
 فَابِقِ الْمُسْلِمِينَ كَهْفًا ، وَلِلْإِفْرَاجِ حَقْفًا ، مَا أَعْقَبَ الْجَبِيلُ جَبِيلُ
 وَمَدْحُهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ غَيْرِ عِمَارَةَ وَأَسَامَةَ ؛ فَتَنَّهُمُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ الزُّبَيْرِ ؟
 قَالَ صَاحِبُ الرُّوَضَتَيْنِ : لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ أَشْعَرُ مِنْهُ ، وَلَهُ شَعْرٌ كَثِيرٌ ، مِنْهُ قَصِيدَةٌ
 غُرَاءُ فِي مَدْحِ الصَّالِحِ طَلَّاحِ بْنِ رَزِيكٍ . وَرَوَى صَاحِبُ الْخُرَيْدَةِ عَمَّا مَدَحَ بِهِ
 ابْنَ الزُّبَيْرِ طَلَّاحُ قَوْلُهُ :

وَتَلَقَّى الدَّهْرُ مِنْهُ بَلِيْثَ غَابٍ غَدَّتْ سَمَرُ الرِّمَاحِ لَهُ عَرِينَا
 تَخَالُ سَيُوفُهُ إِمَّا انْتَضَاهَا جَدَاوِلُ ، وَالرِّمَاحُ لَهَا غَصُونَا
 وَتَحْسَبُ خَيْلُهُ عَقْبَانَ دَجَنٍ يَرْحَنُ مَعَ الظَّلَامِ وَيَسْتَدِينَا
 إِذَا قَدَحَتْ بِمَنْجَعِ اللَّيْلِ أَوْرَتْ سَنَى يَتَشَى عِيُونَ النَّاطِرِينَا
 وَمِنْهُمْ أَخُوهُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَنَصَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَيَحْيَى
 ابْنَ يُوْسُفَ ، وَالْمُهَذَّبُ بْنُ أَسَدِ الْقَدِي مَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ جَاءَ فِيهَا :

يا كعبة الجود ، إن الفقر أقصدنى
ورقة الحال عن مفروض حبيكا
من أذبحى يا كريم الدهر ينشئ
جدواه إن خاب سعي في رجائيك
أمدح الترك أبنى الفضل عندهم
والشعر ما زال عند الترك مقروكا ؟
أم أمدح السوقة النوكى لرفدهم ؟
واضيعتا إن تخطئنى أياديكا ؟
لا تتركنى ، وما أملت فى سفرى
سواك ، أقفل نحو الأهل صلوكا
وبأخرى جاء فيها :

أحسب ليل الشك يمتدّ بعد ما بدا طالما شمس السخاء طلائع
ومنهم ابن أبى جردة الذى يمدحه ، ويشير إلى حادث عباس وابنه ، فيقول :
حامل الأعباء عن كل العباد آخذ بالتأثر من باغ وعاد
من عصاة أضمرها الفدر ، فهم أهل نصب وثفاق وعناد
قتلوا الظافر ظلما ، واتصحوأ لبني الحافظ بالبيض الحداد
واعتدى عباس فيهم وابنه فوق عدوان يزيد وزياد
مثل سفر قتلوا هاديهم ثم ضلّوا ، ما لهم من بعد هاد
جاءهم فى مثل ربح مرصر فتولوا مثل رجل من جراد

قال عمارة : « وجدت محضرته من أعيان أهل الأدب الشيخ المجلس
أبا المالى بن الحباب ، والموفق بن الخلال صاحب ديوان الإنشاء ، وأبا الفتح
محمود بن قادوس ، والمهذب أبا محمد الحسن بن الزبير ، وما من هذه الحلقة أحد

إلا ويضرب في الفضائل النفسانية ، والرئاسة الإنسانية بأوفر نصيب ، ويرى
شاكاة الصواب ، فيصيب .

ومما قاله عنه طلائع الأثرى في مقدمة ديوان الصالح : هو الوزر الكافي ،
والوزير الكافل ، . . . قد نشرت أيامه مطوى الهمم ، وأنشرت رفات الجود
والكرم ، ونفقت بدوائه سوق الآداب بعد ما كسدت ، وهبت ريح الفضل
بعد ما ركبت ، إذا لها الملوك بالقيان والمعارف ، كان لموه بالعلوم والمعارف ،
وإن عمروا أوقاتهم بالبحر والقمر ، كانت أوقاته معمورة بالنهى والأمر .

وكان الصالح طلائع بصيرا يحيد القول ، يعرف الدّر والزجاج ، ويميز بين
اللمتاز والبحر ، ويدرك المعاني المبتكرة فيستجدها ، والأسلوب الرائع فيستحسنه ؛
فمن ذلك أنه استحسن ما قيل في وصف مصلوب :

أراد علوّ منزلة وقدر فأصبح فوق جذع ، وهو عال
ونكس رأسه لاتباب قلب دعاه إلى الفؤاد والفضلال
واستحسن :

ولو لم يكن أدري بما جهل الورى من الفضل لم تنفق عليه الفضائل
لئن كان منا قاب قوس فيبتنا فراسخ من إجلاله ومراحل

أما شعر طلائع فقد ضاع معظمه ، « وكان له ديوان فيه شعر كثير ، يشتمل

على مجلدين ، في كل فن ، رأها ابن خلكان ، ولكن بقي القليل من هذا الشعر الكثير ، تجده متناثرا في مراجعه .

وكثير من المحفوظ من شعره في وصف غزواته ، في بلاد الشام ضد الصليبيين ، وقد كان تطهير هذه البلاد من أمم مآربه في الحياة ، وإن حديثه ساعة الموت عن الله ، لأنه لم يطهر فلسطين من العدو الخير — ليدل على ما كان لهذا الأمل من أثر قوى في نفسه ، ولعل انصرافه إلى تثبيت الأمن وقواعد النظام في البلاد ، هو الذي حال بينه وبين تكريس كل جهده لهذه الغاية ، فإن مؤرخيه يذكرون أنه لم يترك غزو الفرنج وتسيير الجيوش لهم في البر والبحر طوال عهده ، وكان شديد اللفة على أن يعقد مع نور الدين حلفا يهاجمان به العدو المشترك ، في ميدانين في وقت واحد ؛ ليجتاحا معا ، ويستردا ما اغتصب من أرض الوطن ؛ وتجد في شعره هذه الرغبة عنيفة متأججة ، فهو كثيرا ما يرسل إلى أسامة بن منقذ يصف له ما قام به من الغزوات ، ويوسطه لدى نور الدين ، كي يحرّضه على التحالف وغزو الفرنج معا ، فيقول :

ولا هكذا في الله تمضى المزام	وتمضى لدى الحرب السيوف الصوارم
وتستزل الأعداء من طود عزم	وليس سوى سمر الرماح شلام
وتقرى جيوش الكفر في عقر دارها	ويوطأ حماها ، والأنوف رواغم
ويوفى الكرام الباذرون بنذرهم	وإن بذلت فيه النفوس الكرائم
نذرنا مسير الجيش في صفر ، فما	مضى نصفه حتى اقتنى وهو غام
بعثناه من مصر إلى الشام قاطما	مفاوز وخذ العيس فيهن دأما

فما هاله بعد الدّيار ، ولا ثنى عزمته جهد الظما والسّائم
 إذا ما طوى الزّمان وقت مسيره غدت عوضا منها الطيور الحوام
 تبارى خيولا ما تزال كأنّها إذا ما هي اقضت نسور قشاعم
 فإن طلبت قصدا تساوين سرعة قوادها في جوها والقوام
 تصاحبها علما بأن سوف تغتذى بها ، ولها في الكافرين مطاعم
 خيول إذا ما فارقت مصر تبغى عدا ، فلها النصر المبين ملازم
 ويقول لأسامة من قصيدة أخرى .

فانهض الآن مسرعا ، فبأمنالك ما زال يدرك المطلوب
 والى عتّا رسالة عند نور الدّين ، ما فى إلقاتها ما يريب
 قل له ، دام ملكك ، وعليه من لباس الإقبال بردقشيب :
 أيها العادل الذى هو للدّين شباب ، وللعروب شبيب
 والذى لم يزل قديما عن الإسلام بالزم منه تجلى الكروب
 وغدا منه للفرنج إذا لا قوه - يوم من الزّمان عصيب
 إن يرم زحف حقدّم فلاشطان قناه فى كل قلب قلب
 قصدنا أن يكون منا ومنكم أجل فى مسيرنا مضروب
 فلدينا من الصّاكر ما ضا ق بأدنام القضاء الرّحيب
 وعلينا أن يستهلّ على الشّام مكان الغيوث مال صيب
 وكلّ قصائد التى تتحدّث عن غزو الفرنج تفيض بهذه الروح الحاسية ،
 التى تنهى عن صدق الرّغبة ، وتدل على عقيدة متمكنة فى النفس أقوى

تَمَكَّن ، حتى إنه ليرى أحد القواد الذين سقطوا في المعركة قائلاً :
 مضى طاهر الأتواب من كل ريبة شهيدا كما تمضى السراة الأكارم
 هنيئاً له ، يسقى الرحيق إذا غلت تحييه في الخلد الحسان النوام
 ولو أننا نبكى على فقد هالك لقلّت له مفا الدموع السواجم
 ولكننا بعنا الإله نفوسنا ورحنا ، ومامنا على البيع نادم
 وإلى جانب فخر طلائع بما يصيبه من الفرج ، وحقه نور الدين على التهنؤض
 لخربهم ، ورتاء من يسقط من الأبطال في ميدان القتال - كان الصالح يفتخر
 بكثير من أفعاله وسجاياه ، فتسمه يقول :

وإننا أناس ليس يـبرح جارنا يُحكّم في الأموال منا ، فيشط
 ويمتاحنا زوارنا ، فكأنما غدا لهم شرط علينا . ولا شرط
 ويصبح بسط الكف بالمال عندنا وكلّ ملك عنده القبض والبسط
 وتحرق شرق الأرض والغرب خيلنا عليها الشباب الرد والجلّة الشمط
 ويقول :

أبى الله إلا أن يدين لنا الدهر ويخدمنا في ملكنا العزّ والنصر
 علما بأن المال تفنى أوفه ويبقى لنا من بعده الأجر والدّكر
 خلطنا الندى بالبأس حتى كأننا سحاب لديه البرق والرعد والقطر
 ترانا إذا رحنا إلى الحرب مرة قريناً، ومن أضيافنا الذئب والنسر
 كما أننا في السلم نبذل جودنا ويرتع في إضامنا العبد والحُرّ

ولطلائع شعر في الشوق إلى من يرحل عنه من أعزائه ، ومن ذلك شعره
الذي يشاق فيه إلى أسامة ، ومن أجل آثاره في ذلك ما كتبه إلى صديق
له بالشام :

أحباب قلبي ، إن شطّ الزار بكم فأنتم في صميم القلب — كان
وإن رجعتُم إلى الأوطان إن لكم صدورنا عوض الأوطان أوطان
جاورتُمُ غيرنا لما فأت بكمُ داره وأنتم لنا بالودّ جيران
فكيف نفساكم يوما لبعدمُ عنا ، وأشخصكم للعين إنسان
ويبدو لي أن هذا الوزير لم ينس ما مرّ به من تجارب الحياة ، وما شاهده
من ارتفعوا إلى قمة المجد والسلطان ، ثم هوى عن سلطانهم ، ومضوا كأمس
الدّابر ، ولقد شاهد وزراء كانوا ملء السمع والبصر ، قتلوا ، ولم يبق لهم من
أثر ؛ ويقال : إنّه لما جلس في دست الوزارة نظم هذه الأبيات بديهة :

انظر إلى ذى الدّار ، كم قد حلّ ساحتها وزير
ولكم تبختر آمنا وسط الصّفوف بها أمير
ذهبوا ، فلا والله ما يبقى الصغير ولا الكبير
ولمثل ما صاروا إليه من الفناء غدا نصير
وكانت فكرة الموت وترّقه تراوده في الحين بعد الحين ، فهو ينتظر
وروده . ولعلّ مصرع الوزراء قبله كان ماثلا دائما أمامه ، وربما كان قلبه يتلججه
بأنّ مصيرا كصيرم ينتظره ، فيقول :

نحن في غفلة ونوم ، وللمو ت عيون يقظانة لا تنام

قد رحلنا إلى الحمام سنبينا ليت شمرى متى يكون الحمام
ويقول :

مشيبك قد نضا صبح الشباب

وحلّ الباز في وكر الغراب

تقام ، ومقالة الحدائق يقطي

وما ناب التوائب عنك نابي

وكيف بقاء عمرك وهو كنز

وقد أفتت منه بلا حساب

ويرى للرض وسيلة للتذكير بالموت ، عندما ينسى المرء أنه وارد لا محالة :

كم ذا يرينا الدهر من أحداثه عبرا وفيما العتة والإعراض

نسى المات ، وليس يجرى ذكره فينا ، فتذكرنا به الأمراض

أما عقيدته الدينية ، فضلا عن تشيعه ، وتمصّبه لهذا التشيع ، يوافق
مذهب المعتزلة في القضاء والقدر ، إذ يقول :

يا أمة سلكت ضلالا بينا

حتى امتوى إقرارها وجحودها

ملتم إلى أن العاصى لم يكن

إلا بتقدير الإله وجودها

لو صح ذا كان الإله بزعمكم

منع الشريعة أن تقام حدودها

حاشا وكلا أن يكون إلها

ينهى عن الفحشاء ، ثم يريد

وله - كما يروى المقرئ - قصيدة سماها : الجوهرية ، في الرد على القدرية .

وللصالح غزل يضعه أحيانا في مفتتح قصائده ، وحينما يقصد إليه قصدا ،
ك هذه القطعة التي بدأها بقوله :

ومنهف ، مثل القوام ، سرت إلى أعطافه النشوات من عينيه

— ٧ —

شعر ثلاث متوسط الجودة ، يرتفع في كثير من الأحيان ، ويمتاز
بالتماسك بين أجزائه ، وتسلسل الانتقال من خاطر إلى خاطر ، فهو برغم طول
نفسه أحيانا ، إذ تبلغ القصيدة أربعة وستين بيتا — ترتبط أبياته بعضها ببعض
ارتباطا وثيقا ، حتى ليخيل إليك أنك تقرأ رسالة منشورة ، لا قصيدة منظومة .
وتخذ أطول ما بقى من قصائده ، وهي القصيدة اليمية التي أولما :

ألا هكذا في الله تمضي الزمائم

وتمضي لدى الحرب السيوف الصوارم

تره قد بدأها بالفخر ، والفرح بالنصر على الأعداء ، وبالحديث عن الجيش

الذى كان أداة لهذا النصر ، حتى إذا تحدث عن قادته ، وقد استشهد أحدهم ،
رثاه بطلا شهيدا ، وأجاد في رثائه ، ثم خصّ كل قبيل كوّن الجيش بضميعة
خاص ، ولا يلحق وصف القوة المعنوية التي هي في الواقع أساس الانتصار ؛
وهنا يشيد طلائع بما يحمله بين جنبيه من عزم يمدّ به الجيش ، فيمضى ،
ولا ينتفى :

جيوش أفدناها اعتزاما ونجدة فطاعتنا منهم ، ومنا العزائم
ويمضى واصفا لقاء هذا الجيش الباسل بعدده وعدته وعزيمته وروحه المعنوية
القوية ، لجوع الفرنج بالشام ، وكيف أيدت هذه الجوع .
فلم ينسج منهم يوم ذاك غرير .

ولا قيل : هذا وحده اليوم سالم
وبالجيش وحسن التدبير استطاع طلائع أن ينتصر على عدوه . وإذا
كان هو وحده قد استطاع ذلك ، أفلا يكون من للتوقع أن يكون النصر
حاسما ، والمهزيمة ساحقة ، إذا اتحد مع نور الدين ؛ لبلوع هذا الهدف ؟ وهنا
يدعو طلائع نور الدين إلى جهاد الفرنج ، ويمثله عليه ، ويعدّه بأن غاراته
عليهم سوف لا تنقطع في البر والبحر ، وعندئذ يحدّ الجبال مهيا للفرح ،
فيفتخر .

وبهذا التحليل للوجز تبين كيف تماسكت أجزاء القصيدة ، وتسلست
عناصرها ، وارتبطت بعض أجزائها ببعض أعظم ارتباط .

وبما هو جدير بالذكر أن ما ورد من الأخبار يبين لنا أن طلائع كان من

الفرحين بشعره ، للمجيبين به ، المحبين لتشره في الناس ، قال المقرئى : « وكان له مجلس في الليل ، يحضره أهل العلم ، ويدنون شعره » ، وروى ابن الأثير في كامله : « أن الشيخ أبا محمد بن الحسن النحوى البغدادى القيم بالموصل قد شرح بيتا من شعره ، وهو :

تجرب سمعى ما يقول المواذل وأصبح لى شغل من الغزو شاغل

فجز إليه هدية سنية ، ليرسلها إليه . . . وبلغه أيضا أن إنسانا من أعيان الموصل قد أثنى عليه بمكة ، فأرسل إليه كتابا يشكره ، ومعه هدية » .

أما رأى العماد الأصهبان فهو يستكثر على طلائع أن يكون ذلك الشعر له ، قال : « وله قصائد كثيرة مستحسنة ، أفنذها إلى الشام ، يذكر فيها قيامه بنصر الإسلام ، وما يصدق أحد أن ذلك شعره لجودته ، وإحكام معاني حكمته ، وأقسام معاني بلاغته ، فيقال : إن المهذب بن الزبير كان ينظم له . والجليل ابن الحباب كان يمينه » . وروى صاحب معجم الأدباء ما قيل من « أن أكثر الشعر الذى فى ديوان الصالح إنما هو من عمل المهذب بن الزبير ، وحصل له من الصالح مال جم ، ولم ينفق عنده أحد مثله » .

والذى أراه أن ذلك غلو وإغراق ، فمن زعم ذلك يستكثر على الصالح أن ينتج مثل ذلك الشعر ، ولم يورد دليلا قاطعا ، إنما هو الظن ، أما من عاشوا مع الصالح وخالطوه ، فلم يشكوا فى شعره . ولكنى أسلم بأن الصالح كان

يعرض شعره على المشهورين من شعراء عصره ، ليروا رأيهم فيه ، وأصلحوا ماقد يكون فيه من هفوات ، قال عماره : « دخلت إليه ليلة السادس عشر من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة ، قبل أن يموت بثلاث ليال ، بعد قيامه من المطر ، ولم أكن رأيته من أوّل الشهر بليل ، فأمر لي بذهب ، وقال : لا تبرح ؛ ودخل ، ثم خرج إليّ ، وفي يده قرطاس قد كتب فيه بيتين من شعره ، عملهما في تلك الساعة ، وهما : نحن في غفلة ونوم . . . الخ البيتين ؛ ثم قال لي : تأملهما ، وأصلحهما ، إن كان فيهما شيء ؛ قلت : هما صالحان . وكان آخر عهدى به ، لأنه مات بعد هذا بثلاثة أيام » .

فالذى لا نشك فيه هو أن هذا الشعر للصالح طلائع ، والذى لا نستبعد . هو أن الوزير المصرى ، وقد كان محاطاً ببطانة من الشعراء المتأزين — لا يجد غضاضة في أن يعرض شعره عليهم ، فلم يكن منصبه العظيم يتطلب أن يكون شيخ شعراء عصره .

وصنف الصالح طلائع كتاباً ، سماه : « الاعتماد ، في الردّ على أهل السناد » ، جمع له الفقهاء ، وناقشهم فيه ، وناظرهم عليه . قالوا : والكتاب يتضمن إمامة على بن أبى طالب ، والكلام على الأحاديث الواردة في ذلك . وكان الصالح على مذهب الشيعة الإمامية ، وهو يخالف مذهب الفواطم ،

ولعل ذلك كان من بين الأسباب التي جعلته قتيلا على التمر ، فحاول القصر
التخلص منه ، كما سبق أن ذكرنا .

وبنى الصالح طلائع مسجدا لا يزال باقيا إلى اليوم ، خارج باب زويلة ،
ولعله كان يريد أن يجعل من هذا للمسجد منى رأس الحسين ، فقد عزم على
أن يحضره من عسقلان ، ولكن الخليفة الفائز عزم على أن يكون له شرف
هذا النقل ، وأن يكون رأس جده بين القصور الفاطمية ، فتم له ما أراد .

وقد ندم طلائع على بناء مسجده حيث بناء ، إذ يصير عوننا لمن يحاصر
القاهرة ، يجد فيه خير مأوى يساعده .

ولأختم الحديث عن طلائع برواية بعض ما قاله للوزير خون عنه ، محصين
ماله وما عليه :

أما عمارة فيعد مما عليه فرط المصيبة في المذهب . قال : « ولو شرحت هذه
الواحدة لكثرت وطالت ، وانسمت وعالت » ، ويعد مما عليه كذلك جمع
المال واحتجانه ، وبراها للوزير غرامه وأشجانه .

ويقول عنه المقرئ زى : « كان شجاعا ، كريما ، جوادا ، فاضلا ، محبا لأهل
الأدب ، جيد الشعر ، رجل وقته : فضلا ، وعقلا ، وسياسة ، وتدييرا ، وكان
مهابا في شكله ، عظيما في سلطوته ، وجمع أموالا عظيمة ، وكان محافظا على

الصلوات : فرائضها ، ونوافلها ، شديد المخالفة في التشجيع . . . وباع ولايات الأعمال للأمرء بأسعار مقررة ، وجعل مدة كل متولٍّ ستة أشهر ، فتضرد الناس من كثرة تردد الولاة على البلاد ، وتعبوا من ذلك . وكان له مجلس في الليل يحضره أهل العلم ، ويدنون شعره ، ولم يترك مدة أيامه غزو القرعج وتسيير الجيوش لقتالهم في البر والبحر ، وكان يخرج البعوث في كل ستة مرارا ، وكان يحمل في كل عام إلى أهل الحرمين : مكة ، وللمدينة ، من الأشراف سائر ما يحتاجون إليه من الكسوة ، وغيرها ، حتى يحمل إليهم ألواح الصبيان التي يكتب فيها ، والأقلام ، واللداد .

وقال عنه ابن الأثير : « كان الصالح كريما ، فيه أدب ، له شعر جيد ، وكان لأهل العلم عنده نفاق ، ويرسل إليهم العطاء الكثير . »

وقال Lane - Poole : « كان رجلا قويا ، وكانت مصر في حاجة إلى رجال أقويا في ذلك الحين . »

ووصفه ابن خلكان بأنه كان فاضلا ، سمحا في العطاء ، سهلا في القاء ، محببا لأهل الفضائل ، جيد الشعر .

ويكاد مؤرخوه يجمعون على فضله وعظيم مواهبه ، وأنه وطّد أركان النظام في مصر ، ولا يأخذون عليه إلا أنه كان محبا للمال ؛ فباع من أجل ذلك الولايات للأمرء .

ونحن نوافق المؤرخين على ما ذهبوا إليه ، ولكننا نسجل له إلى جانب

هذه السيئة حذبه على أهل العلم ، وعطفه على رجال الأدب ، ورغبته القوية في أن يعد واحدا من بينهم .

مراجع البحث :

- الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، للحريزى .
- بدائع البدائنه ، لعل بن ظافر الأزدي .
- البداية والنهاية ، لابن كثير .
- تاريخ أبى شاكر بطرس .
- تاريخ الإسلام ، للذهبي .
- حسن المحاضرة ، للسيوطي .
- خريدة القصر ، للعماد الكاتب .
- ديوان أسامة بن منقذ .
- الروضتين ، لأبى شامة المقدسى .
- السلوك في دول الملوك ، للقرينى .
- شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى .
- صبح الأعشى ، للقلقشندي .
- الطالع السعيد ، لجعفر بن ثعلب الأدفوى .
- عقد الجمان ، للعيني .
- الفاطميون في مصر ، للدكتور حسن إبراهيم حسن .
- قلادة النحر بأعيان وفيات الدهر ، لحمد الطيب ،

- الكامل في التاريخ ، لابن الأثير .
 مختار من ديوان عمارة .
 مرآة الزمان ، لبسط ابن الجوزى .
 مصر في المصور الوسطى ، للدكتور على إبراهيم حسن .
 معجم الأدباء ، لياقوت .
 معجم السلفى .
 المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، للمقريزى .
 نثر الجمان ؛ للقيومى .
 النجوم الراهرة ، لابن تفرى بردى .
 النكت المصرية ، لعمارة اليمنى .
 نهاية الأرب ، للنويرى .
 الوافى بالوفيات ، للصغدى .
 وفيات الأعيان ، لابن خلكان .

History of Egypt in the Middle Ages. by Lane-Poole.

حلوان الخانات ، في ٦ شوال سنة ١٣٧٧ هـ .
 ٢٥ أبريل سنة ١٩٥٨ م .

مراجع

شعر طلائع بن رزيك

رجعت فيا جمعته من شعر طلائع بن رزيك إلى الراجع الآتية :

١ - بدائع البدائ ، لعلي بن ظافر الأزدي ، المتوفى سنة ٦٢٧ هـ .

(مطبعة بولاق سنة ١٢٧٨ هـ) .

٢ - البداية والنهاية ، لإسماعيل بن كثير ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .

(مطبعة السعادة بالقاهرة) .

٣ - خريدة القصر وجريدة العصر ، للمعاد الكاتب ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

قسم شعراء مصر - الجزء الأول .

بتحقيق الدكتور أحمد أمين ، والدكتور شوقي ضيف ، وإحسان عباس .

(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥١ م) .

٤ - ديوان أسامة بن منقذ . بتحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي ، والدكتور

حامد عبد المجيد .

(المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٣ م) .

٥ - الروضتين في أخبار السوفيين ، لعبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، المتوفى سنة

٦٦٥ هـ . (مطبعة وادي النيل بمصر سنة ١٢٨٧ هـ) .

- ٦ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
عبد الحى بن العماد الحنبلى ، المتوفى سنة ١٠٢٩ هـ .
(طبع القاهرة سنة ١٩٥٠ هـ) .
- ٧ — عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان .
لمحمود بن أحمد المعروف بالصفي ، المتوفى سنة ٨٥٥ هـ .
(مخطوط بدار الكتب رقم ٧١ م تاريخ) .
- ٨ — الكامل في التاريخ ، لعلى بن عماد بن الأثير ، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ .
(الطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٠١ هـ) .
- ٩ — صرأة الزمان .
لأبى المظفر يوسف بن قزأوغلى المعروف بسبط ابن الجوزى ، المتوفى ٦٥٤ هـ .
(مخطوط بدار الكتب رقم ٢١٨١ تاريخ) .
- ١٠ — اللواعظ والاعتبار ، في ذكر الخطط والآثار .
لأحمد بن على المقرئ ، المتوفى سنة ٨٤٤ هـ .
(مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤ هـ) .
- ١١ — النجوم الزاهرة ، في ملوك مصر والقاهرة .
ليوسف بن تغرى بردى الأتابكى .
(طبع القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٥ م)) .
- ١٢ — النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية .
لهامة اليمنى ، المتوفى سنة ٥٦٩ هـ .
(طبع مدينة شالون سنة ١٨١٧ م) .

- ١٣ — نهاية الأرب في فنون الأدب .
لأحمد بن عبد الوهاب النويري ، المتوفى سنة ٥٧٣٢ هـ .
(مصور بدار السكتب رقم ٥٤٩ معارف عامة) .
- ١٤ — الوافي بالوفيات .
لصالح الدين خليل بن أبيك الصفدي ، المتوفى سنة ٥٧٣٢ هـ .
(مصور بدار السكتب رقم ١٢١٩ تاريخ) .
- ١٥ — وفيات الأعيان .
لأحمد بن خلسكان ، المتوفى سنة ٦٨١ هـ .
(للطبعة الميمية سنة ١٣١٠ هـ) .
- والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .
-

بسم الصالح الرعيل الرحيم

باب الغزل

قافية الباء

من شعر الصالح في مملوكه رآه يوم العيد ، في السلاح ، لابس الحديد^(١) :
لَيْسَ الْحَدِيدَ ، فَزَادَنِي إِحْجَابِهِ بَدْرُ تَظَلُّ الشَّمْسِ مِنْ حُجَابِهِ
لَا مَطْمَعٌ فِي أَنْ يَرِقَ ، وَقَلْبُهُ أَقْسَى عَلَى الْعُشَّاقِ مِنْ جِلْبَابِهِ
قَدْ كَانَ يُغْنِيهِ سَيْفٌ لِحَانُهُ عَنْ حُلِّ صَارِمِهِ لِيَوْمِ خِرَابِهِ
لَوْ جَادَ لِي فَوْقَ الْأَنَامِ بِمُبَلَّةٍ تَشْنِي فُؤَادَ الْعَبِّ مِنْ أَوْصَابِهِ
رَوَيْتُ ظَلَامَةَ الرَّمَاكِ مِنَ الْعِدَا وَضَنَيْتُ مِنْ ظَمَأٍ لِبَرْدِ شَرَابِهِ

قافية الشين

وقال^(٢) :

عَاذَلِي ، عَذْلَكَ رَهْمٌ فِي الْحَشَا كَيْفَ سِتْمَانِي ، وَمِيرَى قَدْ قَشَا ۱۱

(١) النص من خريدة القصر ١ : ١٨٠ .

(٢) النص من المرجع السابق ص ١٨١ .

صَارَ مَا بِي مِنْ غَرَامٍ كَأَمِنْ ظَاهِرًا يَنْقُضُ لَهُ وَاشٍ وَشَى
مَنْ رَأَى قَبْلِي بِأَرِيَمَ الْفَلَاحِ أَهْدَا يَنْقِضُهُ لِحَظُ رَشَا^(١)
ومنها :

وَجْهَكَ الرُّوضَةُ آتَتْ زَجِيسًا وَجِئْتُ الْوَرْدِ فِيهَا فُرِشًا
خِفْتُ أَنْ يُجَنِّئَنِي ، فَوُثِّلَتْ بِهَا عَقْرَبًا طَوْرًا ، وَطَوْرًا حَنْشًا

قافية الطاء

وقال^(٢) :

أَلَا إِنَّ أَشْوَاقِي بِقَلْبِي بَرَحَتْ فَأَصْبَحْتُ فِي بَحْرٍ بِمِيلٍ مِنَ الشَّاطِئِ
قَلِيتُ ، وَقَدْ جَدَّ الْفِرَاقُ ، لِبُعْدِكُمْ كَأَنِّي عَلَى جَهْرِ النَّصَا بَعْدَكُمْ وَاطِئِ
وَلَا غُرُوْ فِيكُمْ أَنْ أَقِضْتُ مَضَاجِيئِي
وَقَدْ بَانَ فِي حُبِّي لَكُمْ وَجْهُ إِفْرَاطِي

قافية القاف

وَأُنْشِدَ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ بُجَا^(٣) الْوَاعِظُ الدَّمَشْقِيُّ لَهُ فِي غِلَامِهِ سَابِقٍ عَلَى
حِصَانٍ أَخْضَرَ أَشْقَرَ^(٤) :

(١) الرِّيمُ : النِّطْبِيُّ الخَالِصُ الْبِلَاسُ . وَارْتِشًا : إِذَا قَوَى وَمَشَى مَعَ أَمَةٍ .

(٢) النَّسَّابُ مِنْ خُرَيْدَةِ الْقَصْرِ ١ : ١٨١ .

(٣) هُوَ زَيْنُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَجِيَاءٍ ، وَاعِظٌ مَشْهُورٌ فِي عَصْرِهِ ، تَوَلَّى سَنَةَ ٥٩٩ هـ .

وَلَهُ تَرْجُومَةٌ فِي كِتَابِنَا : الْحَيَاةُ الْأَدَبِيَّةُ ، فِي عَصْرِ الْحُرُوبِ الصَّليبية ، بِمِصْرَ وَالشَّامِ .

(٤) النَّسَّابُ مِنْ خُرَيْدَةِ الْقَصْرِ ١ : ١٨٢ .

ولما حضرنا للسباق تبادرت خيولٌ، ومن أهواه أقدمها سبقنا
 حلى أشقرٍ شبه الأليم توفداً
 ولونا ؛ فصلنا : البدر قد ركب البرقا

قافية اللام

وقال (١) :

وفائر الطرف في الخلد الأسيل له وزد جنى ، حخته أسهم القل
 نهبتة يفي لثما ، وقد غفلت
 عين الرقيب ، وكنت السن المدل
 وخاف أن يفعل الواسي بنا وبه فماد يخلف ما قدم بالجل
 إن مال عني فقد مال النعيم ، وإن
 يمل إلى أجده غاية الأمل
 هابت سطاى كيوث الغاب غادية ورخت من لخطات الظبي في وجل (٢)
 فرجت ضنك (٣) الوغى في كل معركة
 بحد سفي ، وضافت في الموى حيل

(١) النص من المرجع السابق ص ١٨١ .

(٢) الوجل : الضوف .

(٣) الضنك : الضيق .

وروى ابن ظافر في كتابه : بدائع البدائ^(١) ، قال : أخبرني بعض أصحابنا
المصريين أن بعض جُلساء الصالح بن رُزَيْك أنشد بمجلسه بيتاً من الأوزان
التي يسميها المصريون : الزكالكش ، ويسميها العراقيون : كان وكان :

النَّارُ بَيْنَ ضُلُوعِي وَنَا غَرِيقٌ فِي دُمُوعِي^(٢)
كَأَنِّي^(٣) فَتِيلَةٌ قِنْدِيلٌ أُمُوتُ غَرِيقٌ وَحَرِيقٌ^(٤)

وكان عنده القاضي الجليل أبو المعالي بن عبد العزيز بن الحباب^(٥) ، والقاضي
المهذب بن الزبير^(٦) ؛ فتقدم إليهما بنظم معناه ، فصنعا بديها ، فكان ما صنعه
الجليل :

هَلْ عَاذِرٌ إِنْ رُمْتُ خَلْعَ عِذَارِي فِي شَمٍّ سَالِفَةٍ ، وَلَتَمَّ عِشْدَارِي
تَتَأَنَّفُ الْأَضْدَادُ فِيهِ ، وَلَمْ تَزَلْ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ ذَاتَ نِفَارِي
قَلَّ^(٧) مِنَ الزُّفَرَاتِ لَفَحُ صَوَائِقِ وَلَهُ مِنَ التَّبَعَاتِ لُجُجٌ بِحَارِي^(٨)
كَذِبَالَةِ الْقِنْدِيلِ ، قُدِّرَ هُلُكُهَا مَا بَيْنَ مَا فِي الزُّجْجِ وَنَارِي

(١) ص ١٣٣ ، والنس أيضاً في خريدة القصص ١ : ١٨٧ .

(٢) في الخريدة : وَأَنَا غَرِيقٌ مِدَامِي .

(٣) في البدائع : كَأَنِّي . ويريد : كَأَنِّي .

(٤) في الخريدة : أُمُوتُ غَرِيقٌ غَرِيقٌ .

(٥) أديب مترسل شاعر ، كان يجالس خلفاء مصر الفاطميين ، فسمى بالجليل ،
توفي سنة ٥٦١ هـ .

(٦) شاعر مجيد ، ذكر المهاد أنه أشعر أهل زمانه ، توفي سنة ٥٦١ هـ . وله ترجمة
يكتاتبا : الحياة الأدبية ، في عصر الحروب الصليبية .

(٧) في البدائع : وَلَهُ .

(٨) ورد هذا الشعر في الخريدة : تَرَوِي ، وبالعبارة سجع بحار .

وكان ما صنعه ابن الزبير :

كَأَنِّي ، وَقَدْ سَأَلْتُ^(١) سُيُولَ مَدَامِي
فَأَذْكَتُ^(٢) حَرِيقًا فِي الْحَشَا وَالتَّرَائِبِ
ذُبَالَةً قِنْدِيلٍ تَمُومُ بِمَا هِيَ
وَتُشْعَلُ فِيهَا النَّارُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وصنع الصالح :

وَإِذَا تُشِبُّ النَّارُ بَيْنَ أَضَالِي قَابَلْتُهَا مِنْ عَجَزِي بِسُيُولِ
قَانَا الْحَرِيقِ ، بَلِ الْقَرِيقِ^(٣) ، أُمُوتُ فِي
هَذَا وَذَا ، كَذِبَالَةَ الْقِنْدِيلِ

قافية النون

وقال^(٤) :

ظَهَى يُحِيرُ فِي اللَّاحَةِ ، كُلَّمَا كَرَرْتُ طَرْفِي فِي بَدِيعِ فُنُونِهِ
أَشْكُو إِلَيْهِ صَبَابَتِي ، فَيُجِيبُنِي وَرْدٌ يُبْرِدُ لَوْعَتِي بِمَعِينِهِ
قَسَمًا بِهِ ، وَبِوَرْدَةٍ فِي خَدِّهِ وَتَمَامَ قَاسَتِهِ ، وَسِحْرِ جُفُونِهِ

(١) في المهرجة : فاضت .

(٢) في المهرجة . فثبت .

(٣) في المهرجة : قَانَا للقرق ، بل الحريق .

(٤) النسر من المهرجة ١ : ١٨٢ .

لَوْ أَنَّ رَكْبًا فِي الْقَلَاةِ تَحَيَّرُوا لَسَرَوْا بِضَوْءٍ مِنْ هِلَالٍ جَبِيلِهِ

قافية الياء

وقال^(١):

وَمُهْمَهْفٍ ، تَمِلُ الْقَوَامِ ، سَرَتْ إِلَيَّ أَعْطَاهُ النَّشَوَاتُ مِنْ عَيْنِيهِ^(٢)
مَا ضَى اللَّحَاطُ كَأَنَّمَا سَلَّتْ يَدِي سَتَفِي^(٣) غَدَاةَ الرُّوعِ مِنْ جَفْنِيهِ
قَدْ قُلْتُ إِذْ خَطَّ الْعِذَارُ بِمِسْكَةٍ فِي خَدِّهِ أَلْفِيهِ لَا لَأَمِيهِ^(٤) ؛
مَا الشَّعْرُ دَبَّ^(٥) بِكَارِضِيهِ ، وَإِنَّمَا أَصْدَاغُهُ تَفَضَّتْ عَلَى خَدِّيهِ
النَّاسُ طَوَّعُ يَدِي ، وَأَمْرِي نَافِذٌ فِيهِمْ ، وَقَلْبِي الْآنَ طَوَّعُ يَدِيهِ
فَاهُجَبْ لِسُلْطَانٍ يَمُوءُ بِعَدْلِهِ وَيَجُورُ سُلْطَانُ الْغَرَامِ عَلَيْهِ
وَأَقْبِهِ ، لَوْ لَا اسْمُ الْفِرَارِ وَأَنَّهُ مُسْتَقْبِحٌ لَقَرَزَتْ مِنْهُ إِلَيْهِ^(٦)

(١) النسخ من الحريدة ١ : ١٧٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢٣٨ ، وشذرات الذهب ٤ : ١٧٧ ، وعقد الجمان : القسم الثاني ، والواقى بالوفيات ج ٥ قسم ١ ص ٢١٢ .
(٢) للمهف: الضامر البطن ، الدقيق الضصر . والكمل : السكران . والأعطاف : الجوانب : والنشوات : جمع نشوة ، وهي : السكر .
(٣) في الحريدة : سيطا .

(٤) يأخر مكان هذا البيت وثالیه في الحريدة حديث : الناس طوع يدى . وفيها : كتب العذار ... في ورده ... وفي الشذرات : ... خط العذار بمسكه ... في خديه ألفين ... يمشى التعريف .

(٥) في الحريدة : لاح .

(٦) قال صاحب الواقى حديث أن أورد هذه القطعة : أخذ البيت الثاني من قول ابن حاتم المغيرة :

ما كان أفسكى لو اخترت يدى من ناظرىك على علولى مرمقا

باب الإخوانات

قافية القاف

قال زين الدين الواعظ : دفع إلى الصالح هذه الأبيات يوم صنع الدعوة لأخيه^(١) :

أَنْتَ بِكُمْ دَهْرًا ، فَلَمَّا ظَمَنْتُمْ اسْتَقَرَّتْ بِقَلْبِي وَخَشَّةٌ لِلْفَرَقِ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ أَتَى بَيْنَكُمْ بَيْنِي ، وَقَلْبِي ، بَيْنَ جَنَّتِي ، مَا بَقِيَ
أَرَى الْبَعْدَ : مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبِّي

كَبُئِدَ لِلَّذِي مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ^(٢)

أَلَا جَدْدِي يَا نَفْسُ وَجَدًا وَحَسْرَةً

فَهَذَا فِرَاقٌ بَعْدَهُ لَيْسَ نَلْتَقِي

قال : فلم يبق بعدها لم اجتماع في مسرة ، وقتل في شهر رمضان ، ولم يلتقيا بعد ذلك .

(١) ورد النص في مرآة الزمان ج ٨ بهذه المقدمة ، وفي خريدة القصر ١ : ١٨٤ مقدمة أخرى ، هذا نصها : عمل فارس الملقب أخو الصالح له دعوة في شعبان من السنة التي قتل فيها ، فعمل هذه الأبيات ، وسلمها إلى « . وفي الضمائر التواء قد يفهم منها أن الشعر لأخي الصالح .
(٢) لم يرد هذا البيت في مرآة الزمان .

قافية النسون

قال العماد في الفريدة^(١) : أنشدني زين الدولة الحسين بن الوزير أبي الكرم،
قال : كتب الصالح بن رزيك إلى والدي ، بعد عودته من مصر إلى الشام ، سنة
إحدى وخمسين :

أَحْبَابَ قَلْبِي ، إِنْ شَطَّ لِلزَّادِيكُمْ فَأَنْتَكُمْ^(٢) فِي مَعِيَمِ الْقَلْبِ سُكَّانُ
وَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَى الْأَوْطَانِ إِنْ لَكُمْ

مُدُّورُنَا عِيَّوَضَ الْأَوْطَانِ أَوْطَانُ
جَاوَزْتُمْ غَيْرَنَا ، لَمَّا نَأْتِ بِكُمْ دَارُ ، وَأَنْتُمْ لَنَا بِالْوَدِّ حَيْرَانُ
فَكَيْفَ نَنْسَاكُمْ يَوْمًا لِبُعْدِكُمْ عَنَّا ، وَشَخْصُكُمْ^(٣) لِلَّيْنِ إِنْسَانُ

(١) ١ : ١٧٧ ، وورد أيضا في التاج الزاهرة : ٣٦٠ ، وعقد الجمان : القسم الثاني .
ومرآة الزمان ج ٨ .

(٢) هذه رواية الحميدة ، وفي غيرها ، فَأَنْتُمْ .

(٣) في التاج الزاهرة : وَأَشْخَصُكُمْ .

باب الحكمة

قافية الباء

وقال ^(١) :

مَشِيْبِكَ قَدْ نَصَا ^(٢) صَبَغَ الشَّبَابِ وَحَلَّ الْبَارُ فِي وَكَّرِ الْفُرَابِ ^(٣)
تَنَامُ وَمُقَلَّةُ الْحَدَثَانِ يَغْطِي وَمَا نَابُ النَّوَائِبِ عَنْكَ نَابِي ^(٤)
وَكَيْفَ بَقَا ^(٥) عَمْرِكَ وَهُوَ كَذْبُ وَقَدْ أَتَفَقَتْ مِنْهُ بِلَا حِسَابِ

قافية التاء

وقال ^(٦) :

يَا مَا نَسَا فَوْقَ الْتَرَى رِفْقًا ، فَتَوْفَ تَصِيرُ تَحْتَهُ
إِنْ قُلْتَ : إِنِّي أَغْرِفُ الْمَوْلَى الْقَدِيرَ ، فَمَا رَفَقَهُ

(١) النسخ في خريدة القصر ١ : ١٨٥ ، والنجوم الزاهرة ٥ : ٣١٤ ، وعقد الجبلان
القسم الثاني ، والبداية والنهاية ١٢ : ٢٤٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢٣٩ ، والرواق بالوفيات ج ٥
قسم ١ ص ٢١٤ .

(٢) في النجوم : رى ، وفي البداية : عا .

(٣) في الرواق : السقاب .

(٤) لم يرد هذا البيت في النجوم .

(٥) في البداية : عاد .

(٦) النسخ من نهاية الأرب ٢٦ : ٩٧ .

إِنْ كُنْتَ تَعْبُدُ لِمَخَافَةِ الرَّجَاءِ فَمَا عِبَدْتَهُ

قافية الشاء

قال (١) :

أَيُّهَا الْمَرْوُورُ ، لَا تَنْتَرِ ، فَزَعَاكَ خَبِيثُ
سَائِقِ الْوَيْلِ وَإِنْ طَالَ بِنَا الْمَعْمُرُ حَبِيثُ (٢)
إِنَّ مَنْ جَادَتْ عَلَى الْخَلْقِ مَجْدَوَاهُ مُيُوثُ
وَأُولُو الْمَجْدِ الْقَدِيمِ الْعَهْدِ مِنْهُمْ وَالْحَدِيثُ
أَصْبَحَ الْيَوْمَ حَدِيثًا . وَغَدَا نَحْنُ حَدِيثُ

قافية الزاء

وقال (٣) :

يَا مَرِيضَ الْقَلْبِ بِالذَّنْبِ ، مَتَى بِالسُّعُورِ تَبْرَأُ
كُلَّمَا جَدَّدْتَ يَوْمًا تَوْبَةً ضَيَّعْتَ أُخْرَى
تَشْتَهَى الْأَجْرَ ، وَلَا تَفْعَلُ مَا يُكْسِبُ أَجْرًا

(١) النص من خريدة القصر : ١٨٥ .

(٢) الحديث : السريع .

(٣) النص من نهاية الأرب ٢٦ : ٩٧ .

أُتْرَى بَعْدَ ذَهَابِ الْمُعْرِ تَسْتَأْفُ عُمَرَا

وروى العباد قال: ^(١) حدثني أبو الذكاء البلبيكي ^(٢) ، وكان رسولا بمصر ، قال : لما جلس الصالح بن رزّيك في دست الوزارة نظم هذه الأبيات (بليغة) : ^(٣)

أَنْظُرْ إِلَى ذِي الدَّارِ ، كَمْ قَدْ حَلَّ سَاحَتَهَا وَزِيرُ
وَلَكَمْ تَبَخَّرَ آمِنًا وَنُطَّ الصُّفُوفِ بِهَا أَمِيرُ
ذَهَبُوا ، فَلَا وَاللَّهِ مَا يَبْقَى الصَّغِيرُ ، وَلَا الْكَبِيرُ
وَلِمَثَلٍ مَا صَارُوا إِلَيَّ : مِنْ الْفَنَاءِ ، غَدًا نَصِيرُ

قافية الصاد

وقال ^(٤) :

يَا رَاكِبًا ظَهَرَ لِلْعَامِي أَوْ مَا تَخَافُ مِنَ الْقِصَاصِ
أَوْ مَا تَرَى أَسْبَابَ عُصْرِكَ فِي انْتِفَاضِ وَانْتِفَاضِ

(١) خريدة القصر ١ : ١٨٣ . والنسب الروضتين أيضاً ١ : ١٢٠ . بعض هذه القسمة .

(٢) ذكره السلفي ، معجمه ، ورقة ٣٣٢ ، وقال عنه : أبو الذكاء منهم بن حسان بن أحمد البجلي المصنف ، كان من أهل الفهم والأدب ، قدم القنر (يريد الإسكندرية) ، وسافر إلى الأندلس ، ثم رجع إلينا ، وتوجه إلى الشام .

(٣) زيادة في الروضتين .

(٤) النس من الخريدة ١ : ١٨٤ ، وعقد الجمان : القسم الثاني ، ومראה الزمان ج ٨ .

قافية الصاد

وقال^(١) :

كَمْ ذَا يُرِنَا الدَّهْرُ مِنْ أَحْدَانِهِ حَبِيراً ، وَفِينَا الصَّدُّ وَالْإِعْرَاضُ ؟
نَفْسِي الْمَاتَ ، وَلَيْسَ يَجْرِي^(٢) ذِكْرُهُ
فِينَا ، فَتُذَكِّرُنَا بِهِ الْأَمْرَاضُ

قافية الميم

ذكر عماره البني قال : دخلت عليه ليلة السادس عشر من شهر رمضان ،
سنة ست وخسين وخمسمائة ، قبل أن يموت بثلاث ليال بعد قيامه من السماء ،
فأمر لي بذهب ، وقال : لا تبرح ؛ ودخل ، ثم خرج إلى ، وفي يده قرطاس ، قد
كتب فيه بيتين من شعره ، علمهما في تلك الساعة ، وهما :

نَحْنُ فِي غَضَلَةٍ وَنَوْمٍ ، وَلِلْوَيْتِ عُمُونَ يَنْقُطَانُ لَا تَنَامُ
قَدْ رَحَلْنَا إِلَى الْحِمَامِ سِفِينَا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى بَسْكَوْنُ الْحِمَامُ
ثم قال لي : تأملهما ، وأصلحهما إن كان فيهما شيء ؛ قلت : هما صالحان .
وكان آخر عهدي به ؛ لأنه مات بعد هذا بثلاثة أيام^(٣) .

(١) النس من النجوم الزاهرة ٥ : ٣١٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢٣٨ ، والبداية
والنهاية ١٢ : ٢٤٤ ، وعقد الجمان . القسم الثاني ، والوافي بالوفيات ج ٥ قسم ١ ص ٢١٤ ،
وقد غلني عليه بقوله : قلت : شعر جيد لقافية .
(٢) في النجوم نجرى .

(٣) النسر من النكت المصرية ص ٤٧ ، والمريدة ١ : ١٨٠ ، والكامل لابن الأثير
١١ : ١٢٣ ، والبداية والتهلية ١٢ : ١٤٤ ، ونهاية الأرب ٢٦ : ٩٧ ، والنجوم الزاهرة

قافية النون

وقال ^(١) :

يَا ذَرُّ، حَسْبُكَ مَا فَعَلْتَ بِنَا أَتُرَاكَ تَطْلُبُ عِفْدُنَا إِحْنًا ^(٢)
 كَمْ نَقْتِيكَ بِكُلِّ سَابِقَةٍ ^(٣) وَسِيَّاهُمْ كَيْدِكَ تَخْرِقُ الْجُنْفَا ^(٤)
 مَا تَنْفَعُ الدَّرْعُ الْحَصِينَةُ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يَلْبَسُ الْكَفْنَا
 كَلَّا، وَلَا الْإِيَّامُ تَقْبَلُ عَنْ أَرْوَاحِنَا رَشْوًا وَلَا تُمْنَا
 لَوْ بِالثَّرِيَا حَلَّ مُتَمَصِّمٌ مِنْهَا لَكَانَ لَهُ الْأَرَى وَطَنَا
 وَلَقَدْ يَهُونُ مَا أَصَابَكُمْ فَقَدْ الْحُسَيْنِ الطُّهْرَ وَالْحُسْنَا
 وَبَيْنَهُمْ، إِذْ طَوَّحَتْ بِهِمْ أَيْدِي زَمَانِهِمْ هُنَا وَهُنَا
 وَأَرَى الْأُمَّةَ جَارَ دَهْرُهُمْ فِي فِعْلِهِ بِهِمْ، فَكَيْفَ أَنَا
 لِي أَسْوَةٌ بِهِمْ الْفَدَاةَ إِذَا أَصْبَحْتُ فِي الْأَجْدَاثِ مُرْتَهَنَا
 وقال ^(٥) :

خَضْنَ بِحَاكِرِ الْمَوْتِ فِي الثَّقَلِ مِنْ دَارِ الْهَوَانِ

== ٣٦٠: ٥ وعقد الجمان : القسم الثاني ، ومركاة الزمان ج ٨ ، وورد البيت الثاني في الراجح
 الثلاثة الأخيرة هكذا :

قد دخلنا الحمام علما ودمرا ، ليت شمري متى يكون الحمام ؟

(١) النس من الخريدة ١ : ١٨٤ .

(٢) الإحن : جمع إحنة ، وهي الحقد والنصب .

(٣) درع سابقية . تامة طويقة .

(٤) الجنن : جمع جنة ، وهي كل ملوق .

(٥) النس من الخريدة ١ : ١٧٨

وَاجْهِلِ النَّفْسَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى حَدِّ السَّنَانِ
وَاجْتَهِدْ أَلَّا يَرَاكَ النَّاسُ مَبْسُوطَ التَّبَانِ
فَقَسَى الرَّحْمَنُ يُغْنِي عَنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ

وقال^(١) :

أَيَا دَهْرُ، أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَانُوا، فَأَضَحُوا كَأَن لَمْ يَسْكُونُوا
وَكَانَتْ قُصُورُهُمْ لَأَتْرَامُ فَتِلْكَ قُبُورُهُمْ لَا تَبِينُ

قافية الماء

وقال^(٢) :

يَا نَائِمًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، أَمَا أَنَا أَنْتِيبَاهُكَ
الْمَالُ لَا يُفْنِيكَ فِي الْأُخْرَى، وَلَا يُنْجِيكَ بَآمُكَ

(١) النفس من المرجع السابق ص ١٨٥ .

(٢) النفس من المزمعة ١ : ١٨٥ .

باب العقائد

قافية الباء

قال عمارة^(١) : لم أشعر في بعض الأيام ، حتى جاءني من الملك الصالح رقة فيها أبيات بخطه ، ومعها ثلاثة أكياس ذهباً ، والأبيات قوله :

قُلْ لِلْفَقِيهِ عُمَارَةُ : يَا خَيْرَ مَنْ أَضْحَى يُؤَلِّفُ خُطْبَةً وَخِطَابًا
اقْبَلْ نَصِيحَةً مَنْ دَعَاكَ إِلَى الْهُدَى قُلْ : حِطَّةٌ ، وَادْخُلْ إِلَيْنَا الْبَابَا
تَلَقَّ الْأُئِمَّةَ شَافِعِينَ ، وَلَا تَجِدْ إِلَّا لَدَيْنَا سُنَّةً وَكِتَابَا
وَعَلَى أَنْ يَمْلُؤَ مَحَلَّتْ فِي الْوَرَى وَإِذَا شَفَعْتَ إِلَيَّ كُنْتَ مُجَابَا
وَتَمَجِّلُ الْآلَافَ ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ صِلُهُ ، وَحَقِّقْ ، لَا تُعَدُّ ثَوَابَا

فأجبت به مع رسوله بهذه الأبيات :

بِحَاشَاكَ مِنْ هَذَا الْخِطَابِ خِطَابَا يَا خَيْرَ أُمْلَاكِ الرِّمَانِ نِصَابَا^(٢)
لَسِ كُنْ إِذَا مَا أَفْسَدْتَ عُلَاؤُكُمْ مَعْمُورَ مُعْتَقِدِي ، وَصَارَ خَرَابَا
وَدَعَوْتُمْ فِكْرِي إِلَى أَفْوَالِكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَطَاعَكُمْ وَأَجَابَا
فَاشْدُدْ يَدَيْكَ عَلَى صَفَاءِ مَحَبَّتِي وَامْنُ عَلَى ، وَسُدْ هَذَا الْبَابَا

(١) النكت المصرية ص ٤٥ .

(٢) النصاب : الأصل .

قافية الدال

وقال^(١) :

عِائِثَةٌ ، سَلَكَتْ ضَلَالًا بَيْنَنَا	حَقٌّ اسْتَوَى إِقْرَارُهَا وَجُودُهَا
مِلْتَمٌ إِلَى أَنْ الْعَامِي لَمْ تَسْكُنْ	إِلَّا بِتَقْدِيرِ الْإِلَهِ وَجُودُهَا
لَوْ صَحَّ ذَا كَانَ الْإِلَهُ يُزْعِمُكُمْ	مَنْعَ الشَّرِيعَةِ أَنْ تُقَامَ حُدُودُهَا
حَاشَا وَكَلَّا أَنْ يَكُونَ إِلَهُنَا	يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ، ثُمَّ يُرِيدُهَا

(١) النص من خطوط المقرئى ٤ : ٨٢ .

باب الفخر

قافية الباء .

وَقَالَ ^(١) :

تَوَلَّاتْ عَلَيْنَا فِي السِّكَايِبِ وَالْكُتُبِ

بَشَارُ مِنْ شَرْقِ الْبِلَادِ وَمِنْ غَرْبِ

بَشَارُ تَهْدِي لِلْمَوَالِي مَسْرَةً وَتُحَدِّثُ الْبَاغِينَ رُغْبًا عَلَى رُغْبِ

فَقِي كَيْدٍ مِنْ حَرِّهَا النَّارُ تَلْتَضِي وَفِي كَيْدٍ أَحْلَى مِنَ الْبَارِدِ الْمَذْبِ

ومنها :

جَعَلْنَا جِبَالَ الْقُدْسِ فِيهَا ، وَقَدْ جَرَتْ

عَلَيْهَا عِتَاقُ الْخَلِيلِ كَالْتَفْتَنِ الشُّمْبِ ^(٢)

فَقَدْ أَصْبَحَتْ أَوْعَارُهَا وَحُزُونُهَا ^(٣)

سُهُولًا تُوطَا لِلْفَوَارِسِ وَالرَّكْبِ

وَلَمَّا غَدَتْ لَأَمَاءَ فِي جَنَابِهَا صَبَبْنَا عَلَيْهَا آبِلًا مِنْ دَمٍ سَكْبِ

(١) النسخ من الخريدة ١ : ١٧٨ .

(٢) التفتن : القفازة ، والسهمب : المستوى من الأرض .

(٣) الحزن : ما غلظ من الأرض .

وَجَادَتْ بِهَا سُحْبُ الدُّرُوعِ مِنَ الْعِدَا
 نَجِيحاً^(١) فَأَغْنَتْهَا الْقِدَاةُ عَنِ السُّحْبِ
 وَأُجِرَتْ بِحَاراً مِنْهُ فَوْقَ جِبَالِهَا
 وَلَكِنْ بِحَارٌ لَيْسَ تَعْدُبُ لِلشُّرْبِ
 فَقَدْ عَمَّهَا خِصْبٌ بِهِ مِنْ دُرُوسِهِمْ
 بِهَا ، وَلَكَمْ خِصْبٌ أَضَرُّ مِنَ الْجَدْبِ
 وَقَدْ رَوَّغَتْهَا خَيْلُنَا قَبْلَ هَذِهِ
 مِرَاراً ، وَكَانَتْ قَبْلُ آيَةً الشُّرْبِ
 وَأَخْفَى صَهِيلُ الْخَيْلِ أَصْوَاتَ أَهْلِهَا
 فَعَاثَتْ نَوَاقِيسَ الْفَرَنْجِ عَنِ الضَّرْبِ
 وَمِنْهَا :

وَأَبْطَلِ حَرْبٍ مِنْ كِتَامَةٍ^(٢) دَوَّخُوا
 بِلَادَ الْأَعَادِي بِالسُّومَةِ الْقُبِ^(٣)
 وَعَادُوا إِلَيْنَا بِالرُّمُوسِ عَلَى الْقَنَا
 وَأَغْنَاهُمْ سَبُّ الثَّنَاءِ عَنِ السَّكْسَبِ

(١) النجى : الدم .

(٢) كتامة : قيلة مغرية لامت مع الفاطميين .

(٣) السومة : اللعة . والقب : الضوامر من الخيل .

ومنها :

وإِنَّا بِنُورِزَيْكِ مَازَالَ جَارُنَا بِحُلٍّ لَدَيْنَا بِالْكَرَامَةِ وَالْخُصْبِ
وَفَتْكَ بِالْأَمْوَالِ فِي السَّلَمِ دَائِمًا
كَمَا تَحْنُ بِالْأَعْدَاءِ شَعْبُكَ فِي الْحَرْبِ

قافية الدال

وقال (١) :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُؤَيَّدًا مَدَى الدَّهْرِ، مَنْصُورَ الْيَدَيْنِ عَلَى الْعِدَا
وَكَمْ جَاهِلٍ قَدْ زَادَهُ الْحُلْمُ هِزَّةً عَلَى غَيْرِهِ ، لَمَّا فَسَحَتْ لَهُ لِلَّذِي
فَأَوْرَدَتْهُ مِنْ رَاحَتِي مَوْرِدَ النَّدَى وَلَمَّا أَسْرَّ النَّدْرَ أَوْرَدَتْهُ الرَّدَى
وَهَاجَرَ ، فَاسْتَدْرَجَتْهُ ، وَدَفَعَتْهُ يَحِلِي ؛ أَنَاةً ، وَانْتَظَارًا بِهِ غَدَا
عَسَى هُوَ أَنْ يَضْحُو مِنَ الْجَهْلِ ، أَوْ يُرَى
عَلَيْهِ الْحَسَامُ لِلشَّرَفِ مُعْرِيدًا

ومنها في وصف حسام :

فَمَاجَلُهُ مُسْتَحْكِمُ الرَّأْيِ قَدْ غَدَا لِقَهْرِ الْأَعَادِي فِي الْحُرُوبِ مُؤَيَّدَا
رَمَيْتُ بِهِ سَهْمًا مُصَيَّبًا ، وَإِنَّهُ لَدَى الْحَرْبِ مَازَالَ الْقَوِيمَ لِلدُّدَا
هُوَ الْأَسَدُ الْوَرْدُ الَّذِي عَادَ مَسْبِقُهُ إِلَيْنَا مِنَ الصَّرْبِ الدَّرَكِ لِلْوَرْدَا

(١) النسخ من الغرينة ١ : ١٧٨ .

فَلَا يَفْتَرِزُ بِي بَعْدَهَا ذُو جَهَالَةٍ
فَلَيْتُ الشَّرِي يُخَشَى ، وَإِنْ كَانَ مُلْبِداً

قافية اللّام

وقال (١) :

تَجَنَّبَ تَمَعِي مَا يَقُولُ الْعَوَازِلُ وَأَمْتَحَ لِي شَغْلٌ مِنَ النَّزْوِ شَاغِلُ

(١) النّس من السّكامل في التّاريخ ١١ : ١٧٣ .

باب السياسة

قافية الدال

عهد الملك الصالح عند موته إلى ابنه : رُزِيكَ الْأَيْعُرُضُ لَشَاوِرَ ، وَقَالَ لَهُ :
لَا تَزَلْهُ مِنْ وَلَايَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لَكَ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَنْشَدَ آيَاتًا ، مِنْهَا :

فَإِذَا تَبَدَّدَ شَمْلُ حَقْدِكُمَا لَا تَأْتَمَّا مِنْ شَاوِرِ السَّمْدَى ^(١)

قافية الليم

كانت وحشة بين نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام ، وبين قليج
أرسلان بن مسعود صاحب الروم ، أدت إلى الحرب والتضامن ، فلما بلغ خبرها
إلى مصر ، كتب الصالح بن رُزِيكَ وزير صاحب مصر إلى قليج أرسلان ينهاه
عن ذلك ، وكتب فيه شعرا ^(٢) :

تَقُولُ ، وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَتَفَقَّهُمْ - وَيَعْلَمُ وَجْهَ الرَّأْيِ ، وَالرَّأْيُ مُبْهَمٌ
وَمَا كُلُّ مَنْ قَاسَ الْأُمُورَ وَسَاسَهَا يُوقِفُ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ أَحْزَمُ
وَمَا أَحَدٌ فِي الْمَلِكِ يَبْقَى مُخْلَدًا وَمَا أَحَدٌ مِمَّا قَضَى اللَّهُ بِسَلْمٍ
أَمِنْ بَدَلٍ مَا ذَاقَ الْعِدَا طَعْمَ حَرْبِكُمْ بَيْنَهُمْ ، وَكَانَتْ وَفَى صَابٌ وَعَاقِمٌ

(١) النسخ من الروضتين ١ : ١٦ .

(٢) النسخ من السكامل لابن الأثير ١١ : ١٢٤ .

وَجَعَلْتُمْ إِلَىٰ حُكْمِ التَّنَافُسِ بَيْنَكُمْ

وَفِيكُمْ مِنَ الشَّخَنَاءِ نَارٌ تَصْرَمُ

مَا عِنْدَكُمْ مَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ وَحْدَهُ أَمَا فِي رَهَابِكُمْ مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ

تَعَالَوْا ، لَعَلَّ اللَّهَ يَنْصُرُ دِينَهُ إِذَا مَا نَصَرْنَا الدِّينَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ

وَنَنْهَىٰ نَحْوَ الْكَافِرِينَ بِعِزَّةِ بِأَمْثَالِهَا يُخَوِّى الْبِلَادُ وَتُسَمُّ

باب المبح

قافية القاف

أورد عماد الدين^(١) قصيدة نظمها ابن رزّيك ، يرثي بها علي قصيداً أخرى ،
يمدحه بها الفقيه الشاعر : نصر بن عبد الرحمن ، وكان من أهل الإسكندرية ،
ولقيه العماد في بغداد سنة ٥٦٠ هـ :

أَهْدَى لِي الْقَاضِي الْفَقِيهُ عَرَّاسًا	فِيهَا بَدِيعُ الْوُشَى مِنْ تَنْمِيْقِهِ
فَأَجَلْتُ طَرْفِي فِي بَدِيعِ رِيَاضِهِ	مِنْ وَرْدِهِ ، وَبَهَارِهِ ، وَشَقِيْقِهِ
فَكَاثِمًا اجْتَمَعَ الْأَحْبَةُ ، فَأَنْبَرَتْ	يَدُ عَاشِقٍ تَهْوِي إِلَى مَمْشُوقِهِ
نَزَّهْتُ فِي بُسْتَانِ نَظْمِكَ خَاطِرِي	فَحَظَيْتُ مِنْ زَهْرِ الرُّبَا بِأَنْفِقِهِ
وَأَنَا أَرَى تَقْدِيمَ حَاجَةٍ صَاحِبِي	مِنْ دُونِ حَاجَاتِي أَقْلَ حُقُوقِهِ
وَكَذَا الْكَرِيمُ : فَمَهْمِلُ الْحُقُوقِ	لَا مَهْمِلُ أَبْدَا حُقُوقَ صَدِيقِهِ

(١) غريدة النسر المصورة ورقة ٦٩ (١) .

باب بينه وبين أسامة*

قافية الباء

(١) كتب أسامة بن منقذ في صدر كتاب شعر أوله^(١):

وما سكنت نفسي إلى الصبر عنكم
ولا رضيت بعد الديار من القرب

فلما وقف عليه الملك الصالح أجاب عنه بهذه القصيدة^(٢):

من اليوم لا أغتر ماعشت بالحُب
ولا أطلب المتى^(٣) من الخلل بالعتب
ولا أرتضى بالبعد من ذي مودة
وأفنع منه بالسائل والكتب

(*) هو أسامة بن منقذ ، أحد كبار رجال عصره وشعرائه ، وأسرت أمراء قلعة شيزر بالشام ، فدم إلى مصر . واصل بوزرائها ، ولما حدث مقتل القائد خرج من مصر ، مع عباس الصنهاجى الوزير الذى قتل ابنه الخليفة الفاطمى . وكان أسامة شهيد الصلاة بطلائع ، كما يدل عليه ما دار بينها من شعر . وتوفى أسامة سنة ٥٨٤ هـ .

(١) الأبيات بدويان أسامة ص ١١٢ .

(٢) النسخ من ديوان أسامة ص ١١٢ .

(٣) النسخ : الرضا .

وَلَا سِيْمًا إِنْ قَالَ لِي مُتَّصِمًا :

فَقَارَقَكُمْ جِنِّي ، وَجَاوَزَكُمْ قَلْبِي ^(١)

عَلَى أَنِّي قَدْ قُلْتُ حِينَ أَجَبْتُهُ بِلَا حِسْمَةٍ : مَا أَشْبَهَ الْعُذْرَ بِالذَّنْبِ
أَخْلَايَ ، لَوْ رُمْتُمْ دُونَا لَمَا أَبَى

مُرَى الْعَيْسِ ^(٢) ، بَلْ رَكُضُ الْمُطَهِّمَةِ الْقُبِّ ^(٣)

وَلَكِنَّكُمْ يَنْتُمُ وَفَاءً بِفَذْرَةٍ عِدَاةَ اشْتَرَيْتُمْ وَخَشَةَ الْبُعْدِ بِالتَّوْبِ
عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ ، إِنَّ بَعَادَكُمْ لَا عَظَمَ مَا قَدْ كَانَ مِنْ ذَلِكَ الْخَطْبِ
وَلَوْ أَنَّنَا كُنَّا ظُلْمَانَهُ لَمْ نَكُنْ

نُظَاهِرُهُ دُونَ النَّاسِ قَبَاسِ ^(٤) بِالْحَرْبِ

عَلَى أَنَّهُ قَدْ نَالَ بِالْعَذْرِ مِنْ بَنِي نَبِيِّ الْهَدَى مَا لَمْ تَنْلُهُ بَنُو حَرْبِ ^(٥)
وَعَلَّ نَالَ مِنْهُمْ آلُ حَرْبٍ وَغَيْرُهُمْ

مِنَ النَّاسِ فَوْقَ الْقَتْلِ وَالسَّيِّ وَالنَّهْبِ

غَدَاً وَالنَّامِ ^(٦) كَالْكَلْبِ ظُلْمًا ، وَحِزْبُهُ

دِمَاءَهُمْ ، لَا حَاطَهُ اللَّهُ مِنْ حِزْبِ

(١) شطر من أبيات أسامة .

(٢) العيس : الإبل البيض ، يخالط يانها شقرة .

(٣) المطهمة : البارة الجمال . والقب : الخيل الرضعة .

(٤) هو الوزير عباس الصنهاجي . راجع المقدمة .

(٥) هم بنو أمية .

(٦) ولغ الكلاب في الإناء : شرب ما فيه بأطراف لسانه .

وَيَا لَيْتَهُ ، لَوْ كَانَ فِيهِ مِنَ الزَّوَا لِأَلَيْكَ بَعْضُ الَّذِي هُوَ فِي السَّكَبِ
وَحَاشَاكُمْ ، مَا خُنْتُمْ التَّهْدَ مِثْلَهُ

وَلَا لَكُمْ فَيَا جَرَى مِنْهُ مِنْ ذَنْبٍ
وَمِنْ مِثْلٍ مَا قَدْ نَالَكُمْ مِنْ دُؤُورٍ يُحَاذِرُ أَنْ تَذْنُو الصَّحَاحُ مِنَ الْجُرْبِ
وَمَا رَوْضَةٌ غَنَاهُ هَبْ نَيْسِمَهَا عَلِيلًا ، فَلَمْ يُوقِظْهَا نَأْتُمِ الْقُرْبِ
سَقَاهَا الْحَيَا^(١) مِنْ آخِرِ الْأَيْلِ مَزْنَةً كَأَيَّمَانِنَا ، لَمَّا هَمَّتْ بِدَمِ سَكَبِ
فَأَضَحَّتْ نُفُورُ الْأَقْصُونَ صَقِيلَةً

تُضَاحِكُ فِي أَرْجَائِهَا أَوْجَهُ الشَّرْبِ^(٢)
بِأَحْسَنَ ، تَجِدَ الدِّينَ ، تَمَّا تَصَرَّفَتْ
بِنَانِكَ فِي تَفْوِيفِ أَرْزَادِهِ الْقُشْبِ^(٣)
وَمَا هُوَ إِلَّا الشَّمْسُ أَضْحَى بِزُورُنَا

بِمَسْرَاءٍ مِنْ شَرْقِ الْبِلَادِ إِلَى الْقُرْبِ
أَحْبَابِنَا ، بِأَطَالٍ مَا كَانَ قُرْبُكُمْ
إِلَى مِنَ الدُّنْيَا وَنِعْمَتِهَا حَسْبِي
وَكُنْتُمْ عَلَى قَلْبِي إِذَا مَا لَقَيْتُكُمْ

تَلَى إِنْطِمَارِ أَشْهُي مِنَ الْبَارِدِ الْعَذْبِ

(١) الحيا: الطر . وللزفة: القطعة من السحاب .

(٢) العرب: جمع شارب . (٣) القشب: جمع قشيب ، وهو الجليد .

تَرَكَتُمْ مُدَوْدَ الثِّيلِ ، يَرُوى بِهَا الظُّلَمُ
وَيُخْلِطُهَا مِنْ جُودِنَا الثِّيلُ فِي الْجَذْبِ
هُوَ الْآيَةُ الْمُظْمَى الَّتِي دَلَّ حُكْمُهَا
بِأَوْطَانِنَا أَنْ الْعَيْنَا لِلرَّوبِ
بِحَيْثِ الْأَمَانِي ، لَيْسَ تَخْلِفُ سَخْبَهَا
بِسُقْيَا إِذَا مَا أَخْلَفَتْ دِرَّةُ السَّخْبِ^(١)
وَمَا اعْتَضَتْهُمْ مِنْهُمْ غَدَاةٌ قُتِلَتْ
بِكُرْبِهِ إِلَى جَذْبِ الْبِلَادِ مِنَ الْمَضْبِ
وَأَمَّا عَلَى مَا قَدْ عَهْدَتْهُمْ مُحَافِظُ
عَلَى الْوَدِّ مِنْكُمْ فِي بَعَادٍ وَفِي قَرَبِ
أَحْنُ إِلَى أَخْلَاقِكُمْ ، وَأَعْدُكُمْ
بِلَا مَرِيَّةٍ^(٢) ، مِنْ جُمْلَةِ الْأَهْلِ لِأَلِ الصَّخْبِ
أَسَامَةُ لِي مِنْهُ اعْتِزَامُ^(٣) أَسَامَةٍ^(٤)
وَمُرْهَفُ فِيهِ هَزَّةُ الْمُرْهَفِ الْمَضْبِ^(٥)

(١) الدرّة : سيلان ماء السحب .

(٢) للمرية : الشك .

(٣) أسامة في أول البيت هو ابن مقفد . ولفظ أسامة بضم يريد به الأسد .

(٤) مرهف في أول الشعر هو ابن أسامة . والمرهف بضمه : السيف الفيق .

والمضب : القاطع .

فَإِنْ تَبْهَدُوا عَنَّا فَقَدْ خِيفَ رَبُّكُمْ
وإن تقرُّبوا منا ففي المنزل الرخيب

وكتب أسامة إلى الملك الصالح قصيدة أولها :

كف عني، واش، وأغضى رقيبٌ ونهاني عن الثماني للشيب

فكتب إليه الملك الصالح ^(١) :

يا بِي شخصك الذي لا يغيبُ عن عياني ، وهو البعيد القريبُ

يا مقيماً في الصدر ، قد خفت أن يؤذيك للقلب حرقةٌ ووجيبُ

وأرى الدمع ليس يطفى حرَّ الوجد ، إن جاد غيئه المسكوبُ

كل يومٍ لِنارٍ شوقٍ ، ما بين ضلوعي ، بماء جفني ، لهيبُ

وكذا الصب : يحسن الجوز في الحب لذيته ، ويعذب التعذيبُ

لا يهاب الأسود في حومة الحرب ، ويقناده الغزال الربيبُ

ويجازي عن الفكار من الأحباب بالقرب ، إن ذا لمجيبُ

يا ملجأ القوام ، عطفاً ، فقد عطف من ليله القضيبي الرطيبُ

لك قلب أفسى علينا من الصخر ، وما هكذا تكون القلوبُ

(١) النسخ من ديوان أسامة ، وقد ورد جزءاً في المصحفات ١٥٣ ، ٧ ، ١٦٤ ، ٢٩٦

ورد مخطوطة في الرودين ١٠٦ : ١١٨ .

وَبِحُكْمِ الدَّوِّ تَحْكُمُ الْخُلَاطَكَ ، فِي قَلْبِنَا ، وَأَنْتَ الْحَبِيبُ
 أَنْتَ عِنْدِي مِثْلُ ابْنِ سَبْرَى^(١) ؛ مِنْهُ الْفَاءُ ، يُرْوَى الثُّغُوبُ ، وَهُوَ الطَّيِّبُ
 مَا لَمْ يَمُتْ يُسْقَى بِهِ وَرْدُ خَدَيْكَ ، وَمَرْعَاهُ قَوْقَ خَدَى جَدِيبُ
 وَلِأَهْلِ الصَّفَاءِ ، مَا مِنْهُمْ الْآنَ خَلِيلٌ ، إِذَا دَعَوْتُ ، يُجِيبُ
 مَا ظَنَّنَا قُوسَهُمْ بِانْصِدَاعِ الشُّلِّ يَوْمًا ، وَلَا الْفِرَاقِ تَطْلُبُ
 يَا أَحِلَّيَ بِالشَّامِ ، لَيْنٌ^(٢) غَيْثُكُمْ ، فَشَوْقِي إِلَيْكُمْ لَا يَغِيبُ
 غَصَبَتُنَا الْآيَّامُ قُرْبَكُمْ مِنَّا ، وَلَا بُدُّ أَنْ تُدَّ النَّصُوبُ
 وَلَكُمْ ، إِنْ نَشِطْتُمْ ، عِنْدَنَا الْإِكْرَامُ ، وَالرُّقْدُ ، وَالْحَلُّ الْعَصِيبُ
 قَدْ عَلِمْتُمْ يَأْنَ غَيْثَ أَيَادِينَا عَلَى النَّاسِ بِالْغُضَارِ^(٣) سَكُوبُ
 وَبِنَا يُذْرِكُ لِلْوَمَلِ مَا يَرْجُوهُ قَدَمًا ، وَيُنْقِذُ الْمَكْرُوبُ^(٤)
 نَحْنُ كَالشَّجَبِ ، بِالْبَهْوَارِقِ ، وَالرَّعْدِ ، لَدَيْنَا التَّرْفِيبُ ، وَالتَّرْهِيبُ
 تَارَةً نُسَمِّرُ الْحُرُوبَ عَلَى النَّاسِ ، وَوَرَأً بِالْمَكْرُمَاتِ نَصُوبُ^(٥)
 كِرَّةَ الشَّامِ أَهْلَهُ ، فَهوَ تَحْقُوقُ بِالْأَلَّامِ فِيهِ لَيْبُ

(١) ابن سبرى : طيب متقدم في سناعته كان يقول خدمة الملك الصالح ، وكان في أخلاقه
 بض المراسمة والخدمة ، فلذلك كان للوك الصالح يثبت به ويداعبه ، مستدعيًا لخدمته وقرنه ، مع
 طه وفضله . (٥١ . من هاشم ديوان أسامة) .

(٢) في الروضتين : لِين .

(٣) الغضار : القمح الغالس .

(٤) الصوب : الانصباب .

إِنْ نَجَلْتَ عَنْهُ الصُّرُوبُ قَلِيلًا خَلَقْتَهَا زَلَّازِلٌ^(١) وَخُطُوبُ
رَقَعَتْ أَرْضُهُ عَشِيَّةً غَيَّرَ الرُّعْدُ فِي الْجَوِّ ، وَالكَرِيمُ طُرُوبُ
وَتَلَنَّتْ حَيْطَانُهُ ، فَلَمَّا كَانَتْهَا شَمَلٌ بَرَزَ مِنْهَا وَجَنُوبُ
لَا مُهُبُوبٌ لِنَافِثٍ مِنْ أَمَانِيهِ ، وَلِلْعَاصِفَاتِ فِيهَا مُهُبُوبُ
وَأَرَى الْبَرْقَ شَامِتًا ضَاحِكًا السَّنَّ ، وَالنَّجْوَى بِالنُّفُوسِ قَطُوبُ
ذَكَّرُوا أَنَّهُ تَذُوبُ بِهِ الشَّجْبُ ، فَمَا لِلْمُخْجَرِ أَيْضًا تَذُوبُ
أَبْدَنْبٍ أَصَابَهَا قَدَرُ اللَّهِ ، فَلِلْأَرْضِ كَالْأَنَامِ ذُنُوبُ
إِنْ ظَنَى ، وَالظَّنُّ مِثْلُ سَيْتَامِ الرَّمْيِ : مِنْهَا الْمُخْطِئُ ، وَمِنْهَا الْمُصِيبُ
أَنَّ هَذَا لِأَنَّ غَدَتِ سَاحَةُ الْقُدُسِ وَمَا لِلْإِسْلَامِ فِيهَا نَصِيبُ
مَنْزِلِ الْوَحْيِ قَبْلَ بَعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَهُوَ الْمَخْجُوجُ وَالْمَحْجُوبُ
نَزَلَتْ وَسَطُهُ الْخَنَازِيرُ وَالْخَمْرُ ، وَبَارَى الثَّقُفُوسَ فِيهَا الصَّلِيبُ
لَوْ رَأَاهُ الْمَسِيحُ لَمْ يَرْضَ فِئْلًا زَعَمُوا^(٢) أَنَّهُ لَهُ مَنَسُوبُ
أَبَدَدُ النَّاصِرِ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّ النَّاسِ قَوْمٌ إِلَهُهُمْ مَعْنُوبُ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى دِيَارٍ مِنَ السُّكَّانِ أَقْوَتِ^(٣) ، فَلَيْسَ فِيهَا قَرِيبُ^(٤)

(١) يشير إلى الزلازل العنيفة التي حدثت بالقام يومئذ ، وأنت على شيزرومن فيها من أهل أسامة .

(٢) في الأصل والروضتين : ذكروا . وما أبهتا من هامش الحيوان .

(٣) أقوت النار : خلت .

(٤) ما فيها قريب : أحد .

وَلَكُمْ حَتَا فَانْتَهُ أَوْ طَان صِبَاهُ ، وَالْأَهْلُ يَوْمًا ، غَرِيبُ
فَاخْتَسِبُ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ ، يَجِدُ الدِّينَ ، وَاصِيرُ ، فَالْحَادِ فَاتُ مُرُوبُ
هَكَذَا الدَّهْرُ : حُكْمُهُ الْجَوْرُ وَالْقَهْدُ ، وَفِيهِ الْمَكْرُوهُ وَالْحَيُوبُ
إِنْ تَخَصَّصْتُمْ نَوَائِبُ مَا زَالَتْ لَكُمْ دُونَ مَنْ سِوَاكُمْ تَنْوِبُ
فَكَذَلِكَ الْفَنَاءُ : يُكْسَرُ يَوْمَ الرُّوعِ مِنْهَا حَذَرُ ، وَتَبْقَى كُتُوبُ
وَلَمَعَرَى إِنْ لِلْمُنَاصِحِ فِي الدِّينِ ^(١) عَلَى اللَّهِ أَجْرُهُ مَحْسُوبُ
وَجِهَادُ الْمَدْوُ بِالْفِعْلِ وَالْقَوْلِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَكْتُوبُ
وَلِكِ الرَّثْبَةُ الْعَلِيَّةُ فِي الْأَمْرَيْنِ ، مُذْ كُنْتَ ، إِذْ تَسِبُ الْحُرُوبُ
أَنْتَ فِيهَا الشُّجَاعُ ، مَا لَكَ فِي الطُّغْنِ ، وَلَا فِي الضَّرَابِ يَوْمًا ، ضَرِيبُ
وَإِذَا مَا حَرَضْتَ ^(٢) فَالشَّاعِرُ الْمَفْلِقُ فِيمَا تَقُولُهُ وَالْخَطِيبُ
وَإِذَا مَا أَشْرَنْتَ فَالْحَزْمُ لَا يُسَكِّرُ أَنْ التَّدْيِيرَ مِنْكَ مُصِيبُ
لَكَ رَأْيٌ يَقْطَعَانِ ^(٣) ، إِنْ ضَمَفَ الرَّأْيُ ، عَلَى حَامِلِ الصَّلِيبِ صَلِيبُ ^(٤)
فَأَنْهَضِ الْآنَ مُسْرِعًا ، فِيمَا مَثَالِكَ مَا زَالَ يَذْرُكُ الْمَطْلُوبُ
وَالْقِرْعَانِ رِسَالَةً عِنْدَ نُورِ الدِّينِ ، مَا فِي إِقَامَتِهَا مَا بَرِيبُ

(١) هذه رواية الروضتين ، وفي ديوان أسامة : الدين .

(٢) في الروضتين : قرضت .

(٣) هذه رواية الروضتين ، وفي الديوان : مذ كان .

(٤) الصليب : العميد .

خَلَّ لَهُ دَمٌ مُلْكُهُ ، وَعَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ الْإِقْبَالِ يُرَدُّ قَشِيبٌ ؛
 أَيُّهَا الْقَادِلُ الَّذِي هُوَ لِلدِّينِ شَبَابٌ ، وَلِلْحُرُوبِ شَيْبٌ^(١) ،
 وَالَّذِي لَمْ يَزَلْ قَدِيمًا عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْعَزْمِ مِنْهُ تُجَلَّى الْكُرُوبُ
 وَغَدَا مِنْهُ لِلْفَرَجِ إِذَا لَا قُوَّةَ يَوْمٌ مِنَ الزَّمَانِ عَصِيبٌ^(٢) ،
 إِنْ يَرَمُ^(٣) نَزَفَ حَقْدِهِمْ فَلَا شُعْلَانَ^(٤) قَنَاهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ قَلِيبٌ^(٥) ،
 غَيْرَنَا مَنْ يَقُولُ مَا لَيْسَ يُمَضِّيه يَفْعَلُ ، وَغَيْرُكَ لَلْكَذُوبُ
 قَدْ كَتَبْنَا إِلَيْكَ ، فَأَوْضِحْ^(٦) لَنَا الْآنَ بِمَاذَا عَنِ الْكِتَابِ تَجِيبُ
 قَصْدُنَا أَنْ يَكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ أَجَلٌ فِي مَسِيرِنَا مَضْرُوبُ
 فَلَدَيْنَا مِنَ الْعَسَافِ مَا ضَاقَ بِأَذْنَانِهِمُ الْفَضَاءَ الرَّحِيبُ
 وَعَلَيْنَا أَنْ يَسْتَهْلَ^(٧) عَلَى الشَّامِ ، مَكَانَ الْفُيُوثِ ، مَا لَ صَبِيبُ
 أَوْ تَرَاهَا مِثْلَ الْعَرُوسِ : تَرَاهَا كُلُّهُ مِنْ دَمِ الْعِدَا تَخْضُوبُ

(١) يريد شبيب بن يزيد الشيباني أحد كبار الثائرين على بني أمية ، وكان بطلا في الحرب . قال الملاحظ في حقه : كان يصيح في جنبات الجيش إذا أعياه فلا يلوى أحد على أحد . توفي سنة ٧٧ هـ .

(٢) العصب : الشديد .

(٣) هذه رواية الروضتين . وفي الديوان : يرم .

(٤) الشطن حركة : الجبل العلويل .

(٥) القليب : البثر .

(٦) في الروضتين . ماوضح الآن .

(٧) استهل المطر : اشتد انصبابه .

يَطْنِينَ الشُّيُوفَ فِي قَلْعِ الصُّبْحِ عَلَى هَامِ أَهْلِهَا تَطْرِيبُ
وَلِجَمْعِ الْحُشُودِ مِنْ كُلِّ حِصْنٍ سَلَبُ مُهْمَلٍ لَهُمْ وَهُوبُ
وَيَحُولُ إِلَهِ ذَلِكَ ؛ وَمَنْ غَالَبَ رَبِّي فَإِنَّهُ مَغْلُوبُ

قافية الزاء

وكتب إليه للملك الصالح قصيدة منها^(١) :
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَدِينَ^(٢) لَنَا الدُّعْرُ
وَيُخْذُمَنَا فِي مُلْكِنَا الْمَرْءِ وَالنَّصْرُ
عَلِمْنَا بِأَنَّ الْمَالَ تَفَنَّى الْوُفْءُ
وَيَبْقَى لَنَا مِنْ بَعْدِهِ الْأَجْرُ وَالذِّكْرُ
خَلَطْنَا النَّدَى بِالْبَأْسِ ، حَتَّى كَأَنَّ
سَحَابَ لَدِينِ الْبَرَقِ وَالرَّعْدُ وَالْقَطْرُ

(١) وردت هذه الأبيات في السكامل لابن الأثير ١١ : ١٢٣ والثلاثة الأولى وردت في البداية والنهاية ١٢ : ٢٤٤ . وورد البيت الأول في ديوان أسامة س ٢٠١ ، وقال صاحب البروان بعد أن أوردته : وهي طويلة ، يذكر فيها وقائمه وسراياه إلى الفرنج ؛ وتسيره الجيوش ، وأسماء مقدميها ، ووصف نجاتهم ، فوقف عليها الملك المادل رحمه الله ، وخرج على أمره إلى الأمير مجد الدين بالإجابة عنها ، بمان وقت الإشارة إليها ، فقال هذه القصيدة ، وذكر فيها بعض الفتوحات :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَنَا الْأَمْرُ لِحَيَا بِنَا الدُّيَا وَيَخْتَرُ الصَّبْرُ
والقصيدة مطولة جدا بديوان أسامة س ٢٠١ .

(٢) هذه رواية ديوان أسامة وفي غيره : يَوْمُ .

تَرَانَا^(١) إِذَا رُحْنَا إِلَى الْحَرْبِ مَرَّةً
قَرَيْنَا ، وَمِنْ أَضْيَافِنَا الدُّنْبُ . وَالْفُسْرُ
كَمَا أَنَا فِي السَّلْمِ تَبْدُلُ جُودَنَا
وَيَرْتَعُ فِي إِنْعَامِنَا الْعَبْدُ وَالْحُرُّ

قافية الطاء

وقال أسامة في الملك الصالح قصيدة^(٢) مطلعها :
أَجِيرَةَ قَلْبِي ، إِنْ تَدَانَوْنَا ، وَإِنْ شَطَلُوا
وَمُنْتِيَةَ نَفْسِي ، أَنْصَفُونِي ، أَوْ اشْتَطَلُوا^(٣)
فأجابه محمّداً على الجهاد^(٤) :
هِيَ الْبَذْرُ ، إِيكِنَ الثَّرِيًّا لَهَا قُرْطُ
وَمِنْ أَنْجَمِ الْجَوَازِ فِي نَحْرِهَا سِمَطُ^(٥)
مَشَتْ وَعَلَيْهَا لِلصَّامِ ظِلَالُ
تُظِلُّ ، وَمِنْ نَسَجِ الرَّبِيعِ لَهَا بُسَطُ

(١) في الأصل : قَرَانَا . تحريف .

(٢) القصيدة بدويان أسامة ص ٧٨ ، ١٧٤ ، ٢١١ .

(٣) شط : جد . واشتط : جار .

(٤) النص من ديوان أسامة ص ١٧٥ ، وبضمنه في الحريدة ١ : ١٧٦ ، والروشتين

١ : ١١٩ ، وثلاثة أبيات منه في عقد لجان القسم الثاني ، ومراة الزمان ج ٨ .

(٥) السمت : فلانة أطول من الخنقة .

تَوَّمُ صَرِيحًا فِي الرَّحَالِ ، كَأَنَّهُ
 مِنْ الشَّجَرِ ، وَالْأَيْدِي تُقَلِّبُهُ ، خَطُّ
 فَاخْضَرَّ ثَرَبٌ^(١) الْأَرْضِ إِلَّا لِأَنَّهَا
 عَلَيْهِ ، إِذْ زَارَتْ ، بِأَقْدَامِهَا تَخْطُو
 وَلَا طَلَبَ نَشْرُ الرُّوضِ إِلَّا لِأَنَّهُ
 يُجَرِّئُ عَلَيْهِ مِنْ جَلَابِيبِهَا مِرْطُ^(٢)
 وَلَا طَارَ ذِكْرُ النَّفْثِ إِلَّا وَقَدْ نَدَا^(٣)
 يَصْدُ كَمَا صَدَّتْ ، وَيَعْطُو كَمَا تَمْطُو^(٤)
 مِنَ الْبَيْضِ ، مِثْلَ الصَّبِيعِ ، مَا لِلظَّلَامِ فِي
 تَحَايِينِهَا ، لَوْلَا ذَوَائِبُهَا ، قَسَطُ
 إِلَى الْعَرَبِ الْإِتْحَاضِ يُغْزَى قَبِيلُهَا
 وَقَدْ ضَمَّهَا فِي الْحُسْنِ مَعَ يُوسُفَ سَبَطُ^(٥)
 وَلَمَّا غَدَّتْ كَالْمَاجِرِ ، زَيْنَ صَدْرُهَا
 يُحَقِّقُ مِنْهُ ، قَدْ أَجَادَهَا الْخَرْطُ

(١) فِي الْعَقْدِ وَالرَّأْيِ : تَوَّبَ .

(٢) لِلرُّطِّ بِالْكَسْرِ : كَسَاءٌ مِنْ صَوَفٍ أَوْ خَر .

(٣) هَذِهِ رَوَايَةُ الْخَرْمَةِ ، وَفِي دِيْوَانِ أَسَامَةِ : لِأَنَّهُ .

(٤) الْعَطْوُ : رَفَعَ الرَّأْسَ وَالْيَدَيْنِ .

(٥) هَذِهِ رَوَايَةُ دِيْوَانِ أَسَامَةِ ، وَفِي الْخَرْمَةِ : سَبَطَ .

وَأُزِيلَ فَوْقَ الْعَدِّ صُدْعٌ مُكَلَّلٌ
 كَمَا انْتَابَ فِي الرِّوَضَاتِ حَيَاتُهَا الرُّقْطُ^(١)
 ذَوَائِبُ زَارَ الْخَصَرَ مِنْهُنَّ فَاحِمٌ
 تَحْدَرُ ، لَا يَبْدُ الثَّبَاتِ ، وَلَا سَبْطُ
 يُبْنَى سَنَا الْكَافُورِ ، إِنْ مُشَّطَتْ بِهِ
 وَيُخْفَى سَوَادُ الْمِسْكِ ، فَهَوَ لَهَا خِلَاطُ
 وَلَمْ تَأْتِ عَنَّا ، عَلَى كُلِّ حَالَةٍ .
 نَسَاوَى الرُّضَا وَالشُّخْطُ ، وَالْقُرْبُ وَالشُّخْطُ^(٢)
 فَاذْكُرْنَا ذَلِكَ الْبَعْدُ مَعَانِيرًا
 تَأَوَّاهُ ، فَسَكَاتًا مَا أَتَيْنَاهُمْ قَطُّ
 وَأَتَقَوْا ، وَقَدْ شَطَلُوا ، فَوَادَّ يُحِبُّهُمْ
 إِلَى بَحْرِ شَوْقٍ مَا لِلْجُنَّةِ شَطُّ
 وَلَيْسَ تَشْقُ الشَّقْنُ أَمْوَاجَهُ ، وَلَا
 يَسَاحِلُهُ لِلْعَيْسِ^(٣) رَفَعٌ وَلَا حَطُّ

(١) الرقطة : سواد يشوبه ققط يابس أو عكس .

(٢) الشخط : البعد .

(٣) العيس : الإبل البيض يخاطب يابضها عقرة .

أَحْبَابَنَا بِالشَّامِ ، عَقَّتُمْ جِوَارَنَا
فَجَاوَزَكُمُ فِي أَرْضِهَا الْخَوْفُ وَالْقَحْطُ
وَمَا كَانَ بَعْدَ الثَّيْلِ ، وَالثَّيْلُ زَاخِرٌ
يَمُصِّرُ لِيُغْنِيَ عَنكُمْ ذَلِكَ الْخُطُ^(١)
وَقَدْ عَشْتُمْ فِيهَا زَمَانًا ، قَمَا اعْتَرَى
رِضَاكُمْ هَا ، لَوْلَا تَخَوُّفُكُمْ ، سُخْطُ
وَكُنْتُمْ لَنَا دُونَ الْأَقَارِبِ أَمْرَةً
وَنَحْنُ لَكُمْ مِنْ دُونَ رَهْطِكُمْ رَهْطُ
وَلَمَّا أَنَا ، لَيْسَ يَبْرَحُ جَارُنَا
يُحْكُمُ فِي الْأَمْوَالِ مِنَّا ، فَيَسْتَقْطُ
وَيَمْتَسَا حُنَا زَوَارُنَا ، فَكَا^(٢) نَمَا
غَدَا لَهُمْ شَرْطٌ عَلَيْنَا ، وَلَا شَرْطُ
وَيُصْنِجُ بَسَطُ الْكَفِّ بِالْمَالِ حِنْدَنَا
وَكُلُّ مَلِكٍ عِنْدَهُ الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ
وَتَغْرِقُ شَرْقُ الْأَرْضِ وَالْقَرْبَ خَمِيلَنَا
عَلَيْهَا الشَّيَابُ الْمُرْدُ ، وَالْجِلَّةُ الشَّمْطُ^(٣)

(١) الخط بالقلم : بوضع الحصى .

(٢) الشمت : يبيض شعر الرأس بخالط سواده ، والشمت في الرجل : يبيض الحية

والجلة : هم جليل .

وظلنا للشهب الدارارى إذا سرت
 هناك مع السارين فى جنبها خبط
 كما أول القجرين سقط يسئل من
 حشاهما ، كذاك البرق فى جوهها سقط^(١)
 سللنا بها بيض السيوف^(٢) ، فلاح فى
 شباب الدحى لنا بدا لمعها وخط
 سيوف لها فى كل دزر وجنة^(٣)
 إذا ما اعتلت قد ، أو اعترضت قط^(٤)
 ذخرنا سطاهما للفرنج ، لآنها
 يوم دون أهل الأرض أجدر أن تسطو
 لهم قسطهم فى الحرب منها ، ومالها
 عليهم لدى الهيجاء عدل ولا قسط^(٥)
 وقد كاتبوا فى الصلح ، لكن جوابهم
 بحضرتنا ما يثبت^(٦) الخط لا الخط^(٧)

(١) السقط : ما سقط بين الزدين قبل استحكام الورى .

(٢) فى الخريدة . البيض السيوف .

(٣) الجنة : كل ما وى ..

(٤) القد : الشق طولا . والقط : القطع عرضا .

(٥) القسط بالفتح : الجور والدول عن الحق .

(٦) فى الخريدة : تكتب .

(٧) الخط : سيف البحر ، ومرقا السفن بالبحر ، وإليه نسبت الرماح . والخط الثانية :
 للرادبها الكتابة .

سُطُورُ خَيْوَلٍ لَا تُغَيَّبُ دِيَارُهُمْ
لَهَا بِالْمَوَاضِي وَالْقَنَا الشَّكْلُ وَالنَّقْطُ
وَحَرْبٌ لَهَا الْأَرْوَاحُ زَاهِقَةٌ لِمَا
تُعَانِي ، وَالْأَصَوَاتُ مِنْ دَهْشٍ لَنَقْطُ
إِذَا أُرْسِلَتْ قَرَعًا مِنَ النَّقْعِ فَاحَا
أُثْبِتَا^(١) فَأَسْنَانُ الرِّمَاحِ لَهَا مُشْطُ
كَأَنَّ الْقَنَا فِيهَا أَنْامِلُ حَاسِبٍ
أَجَدَّ بِهَا فِي الشَّرْعَةِ الْجَمْعُ وَالْقَطُ
رَدَدْنَا بِهَا ابْنَ الْقَنْصِ هَنَا ، وَإِنَّمَا
يُذَبِّتُهُ فِي سَرْجِهِ الشَّدُّ وَالرَّيْبُ
فَقُولُوا لِقُورِ الدِّينِ : لَيْسَ لَجَانِبِ الْجِرَاحَاتِ إِلَّا الْكَثْفُ فِي الْعَلْبِ وَالْبَطُ^(٢)
وَحَسَمُ أَصُولِ الدَّاءِ أَوْلَى لِلْعَاقِلِ
لَبِيبٍ ، إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى الْمَذْنَفِ الْخِلَاطُ^(٣)
فَدَعِ حَقَّكَ مَيْلًا لِلْفَرْنَجِ وَهُدْنَةً
بِهَا أَبَدًا يَخْطِي سِوَاهُمْ ، وَلَمْ يُخْطُوا

(١) أَتِ النَّبَات : كَثُرَ وَالتَّف : وَهُوَ أَثْبِت : كَثِيرٌ عَظِيمٌ .

(٢) بَطُ الْجِرْح : مَقْعُهُ .

(٣) لَدَفَ : لِلرِّيشِ . وَالْخِلَاطُ بِالْكَسْرِ : أَنْ يَخَالِطَ الرَّجُلُ فِي عَقْلِهِ .

تَأْمَنُ ، فَكَمْ شَرْطٍ شَرَطْتَ عَلَيْهِمْ
 قَدِيمًا ، وَكَمْ غَدِيرٍ بِهِ يُفِضُ الشَّرْطُ
 وَشِمْرٌ ، فَإِنَّا قَدْ أَعْنَأْنَا بِكُلِّ مَا
 سَأَلْتَ ، وَجَهَّزْنَا الْجِيُوشَ ، وَلَنْ^(١) يَبْطُلُوا
 وَدُونَكَ مَجْدَ الدِّينِ عَذْرَاءَ زَفَنَاءَ
 إِلَيْكَ الْوَفَاءَ الْمَحْضُ ، وَالكَرَمُ السَّجُوطُ^(٢)
 هَدِيًّا^(٣) تَهَادَى بَيْنَ حُسْنٍ وَفَائِنَا
 وَإِنَّمَانَا ، ذَا التَّلَاجُ زَانَ ، وَذَا الْقُرْطُ
 عَلَى أَنَّهَا تَشْتَطُّ إِنْ مِئِ سَاجَلَتْ :
 (أَجِيرَةٌ فَلَيْسَ ، إِنْ تَدَانَوْا ، وَإِنْ شَطُلُوا^(٤))

قافية الناء

قال أسامة قصيدة^(٥) في الملك الصالح مظهرها :
 أَذْكَرْهِمُ الْوُدَّ ، إِنْ صَدُّوا ، وَإِنْ صَدَفُوا
 إِنْ الْكَرَامَ إِذَا اسْتَعْطَفْتَهُمْ عَطَفُوا

(١) في الروضتين : لم .

(٢) السبط : السخي .

(٣) الهدى : الروس .

(٤) مطلع قصيدة أسامة .

(٥) القصيدة بدويان أسامة ص ٨٥ و ١٧٩ .

فأجابه الملك الصالح ^(١) :

أَدَابُكَ الْغُرُ بِحَرْ ، مَالَهُ طَرْفُ فِي كُلِّ مَنَعٍ بَدَا مِنْ حُسْنِهِ طَرْفُ
نَقُولُ ، لَمَّا أَتَانَا مَا بَعَثَتْ بِهِ :

هَذَا كِتَابُ آءِ ، أَمْ رَوْضَةُ أَفْ ^(٢)

خَطُّ تَزَهَّتِ الْأَزْهَارُ حِينَ بَدَا

كَأَنَّهُ الْغُرُ ، عَنْهُ فُتِحَ الصَّدْفُ

إِنْ نَظَّمُهُ طَرَقَ الْأُتَمَاعُ كَانَ لَهَا

وَأِنْ سَوَتْ عَطَلًا مِنْ حِلْيَةٍ ، شَفْ ^(٣)

رَقَّتْ حَوَائِي كَلَامٍ أَنْتَ نَظَّمَهُ

فِيهِ ، فَجَاءَ كَزَهْرِ الرُّوضِ ، يُقْتَلَفُ

وَرَدَتْ بِحَرِّ الْقَوَافِي ، فَأَعْتَرَفَتْ كَمَا

قَدْ حَلَّ يَوْمًا بِعَدِّ النَّيْلِ مُعْتَرِفُ

زَهَتْ عَلَى الْبَذْرِ نُورًا ، إِذَا تَتَّ بِسَوَادِ النَّفْسِ ^(٤) يُشَبِّهُهُ مِنْ خَدِّهِ كَأَنَّ ^(٥)

(١) النمس من ديوان أسامة ص ١٨١ .

(٢) روضة أف بضمين : لم ترع .

(٣) الشف بالفتح : القسط .

(٤) النفس : اللداد .

(٥) السكاف : سواد في صفة .

قَرَطْتُ^(١) رَمِيًا ، وَكَرَامٍ بِأَسْمِهِ
 إِذَا تُحَقِّقَ مِنْهُ يَسْلُمُ الْمُسَدَفُ
 نَاطِرٍ فَأَيَّ غُزَرِ الْعَدِّ ، لَا وَشَلَّ
 وَلَا يَبْرُضُ^(٢) ، إِذَا مَا حُلَّ يُنْتَرَفُ
 إِذَا تَطَلَّعَ فَوْقَ الْأَرْضِ ذُو أَدَبٍ
 فَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى الْعَيُوقِ تَشْتَرَفُ^(٣)
 وَإِنْ تَعَرَّى دَعَى^{*} مِنْ فَضَائِلِهِ
 فَأَنْتَ مُدْرِعٌ مِنْهَا ، وَمُلْتَحِجٌ
 إِذَا تَخَفَى لِقَتَحَ^(٤) وَجْهَهُ فَافِيَةٍ
 فَمَنْ قَوَائِكَ شِمِلَتْ دُونَنَا السَّجُفُ^(٥)
 لِأَعْيُنِ النَّاسِ نَهَبٌ مِنْ حَاسِنِهَا
 كَمَا التَّلُوبُ تُلَاقِيهَا ، فَتَخْتَطِفُ
 إِذَا ذَكَرْنَاكَ بِحَدِّ الدِّينِ عَاوِدًا
 شَوْقٌ تَجَدَّدَ مِنْهُ الْوَجْدُ^(٦) وَالْأَسْفُ

(١) قرطس : أساب القرباس ، وهو آدم ينصب للنضال .

(٢) البرض : القليل . والوشل : الماء القليل .

(٣) العيوق : نجم . وتعرف : تعرف .

(٤) ملها : فهم . أو لله يريد فتح مغلقها .

(٥) السجاف : السر .

(٦) الوجد : الحزن .

وَدُنَّ مَاقَدُ وَجَدْنَاهُ لِقُرْقَتِكُمْ
يُحِيطُ بِالْقَلْبِ مِنْ أَرْجَائِهِ التَّلَفُ
وَلَوْ عَرَفْتَ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْكَ لَمَا
إِنْ (١) كُنْتَ عَنَّا عَلَى الْأَحْوَالِ تَخْتَلِفُ
وَلَا عَجِيبٌ إِذَا حَافَ الزَّمَانُ عَلَى
حُرٍّ ، وَكُلُّ قَضَائَاهُ بِهَا جَنَفُ (٢)
فَلَا تَكُنْ جَازِعًا ، إِنَّ التَّجَاوُزَ عَنْ
إِفْثَاكَ الصَّبْرِ فِي شَرْعِ الْهَوَى سَرَفُ
فَإِنْ حَصَّاتِ عَلَى الصَّبْرِ اخْتَوَيْتِ عَلَى الْأَجْرِ الْجَزِيلِ ، وَفِي إِحْرَازِهِ شَرَفُ
يَا مَنْ جَفَانَا ، وَلَوْ قَدْ شَاءَ كَانَ إِلَى
جَنَابِنَا (٣) دُونَ أَهْلِ الْأَرْضِ يَنْمِطُ
وَحَقٌّ مَنْ أَمَّهُ وَقَدْ الْحَجِيجِ ، وَمَنْ
ظَلَّتْ إِلَى بَيْتِهِ الرُّكْبَانُ تَخْتَلِفُ
إِنَّا لَنُوفِي عَلَى حَالِ الْبِعَادِ ، كَمَا
نُوفِي لِمَنْ صَمَّهُ فِي قُرْبِنَا كَفُفُ (٤)

(١) إن زائدة بعدما .

(٢) الحيف: الظلم . والجنف: الليل والجور .

(٣) الجنب: الفناء ، والتاجية .

(٤) السكف: الجانب والظل والتاجية .

وَنَقَرُوا الذَّنْبَ إِنْ رَامَ السُّوءَ بِنَا
 عَفْوًا ، وَتَشْتَرُهُ فِي حِينٍ يَنْكَشِفُ
 وَإِنْ جَفَى مَنْ رَأَى أَنَا مُنَاقِبَةٌ
 بِرُدُنَا الصَّنْعُ أَوْ يَعْمَقُنَا الْأَنْفُ^(١)
 نَمَّ ، وَنَحْفَظُ عِنْدَ النَّيْبِ صَاحِبِنَا
 وَلَيْسَ يُذَرِّكُنَا كَيْدٌ ، وَلَا صَلَفُ^(٢)
 فَمَا لِإِسَادِنَا يَوْمَ الرَّغَى مَيْلٌ
 وَلَا لِمَوْجِدِنَا يَوْمَ النَّدَى خُلْفُ
 فَمِنْذَنَا جَنَّةٌ تَدْنُو الثَّلَا بِهَا
 إِذَا دَنَا مُجْتَمِعٌ مِنْهَا وَمُقْتَطِفُ
 هَدَى مُصَاحِبِنَا ضَوْءُ النَّهَارِ ، وَكَمْ
 قَدْ ضَلَّ مَنْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ يَمْتَدِّفُ^(٣)
 فَمِنْ إِيَّانَا بِأَمَالٍ مُحَقَّقَةٍ
 وَكُفَّ غَرْبُ^(٤) دُمُوعٍ لَمْ تَزَلْ تَكِفُ

(١) يتأقنا : يموتنا . والأف : الاستنكاف .

(٢) الصلف : أن تتدح بما ليس عندك .

(٣) اعطف : خبط على غير هداية .

(٤) الغرب : الحدة ، والنشاط ، والتهادى .

كَفَى اغْتِرَابًا ، فَجَلَّ بِالْأَبَابِ لَنَا
 فَبَيْنَكَ لَا عِوَضُ يُبْقَى وَلَا خَلْفُ
 وَقَدْ أَجَبْنَا إِلَى مَا أَنْتَ طَالِبُهُ
 فَالآنَ كَيْفَ تَرَوْنِي ^(١) فِيهِ أَوْ تَهْفُ
 فَرَأَيْنَا فِيكَ قَدْ أَضْحَى عِلَاقَةً
 وَالْجُنْدُ قَدْ عَرَفُوا مِنْهُ الَّذِي عَرَفُوا
 وَقَدَّمْتَ أَتَكَ تَهْمِيدَاتُنَا ، وَبِهَا
 وَخَشُ الْقَلَاةِ إِذَا مَا رُوِّعَتْ أَلْفُ
 كَأَنَّا حِينَ تَجْرِي ذُكْرُهُ لَكُمْ
 عَلَى اضْطِرَامٍ لَهَيْبِ النَّارِ نَعْتَكِفُ
 فَإِنْ يُبَالِغْ أَنَا فِي الشَّهَاءِ عَلَى
 أَوْ صَافِيَكُمْ قَصَّرُوا فِي كُلِّ مَا وَصَفُوا
 فَخُذْ نِفَالًا عَلَى قَدْرِ الَّذِي كَتَبَتْ
 يَدَاكَ إِذْ عَدَدَ النُّظْمَيْنِ مُؤْتَلَفُ

(١) روى في الأمر: نظروني.

وقال أسامة في الملك الصالح قصيدة^(١) مطلعها :

ما مِنْهُمْ لَكَ مُتَعَاذٌ ، ولا خَلْفُ
فَكَيْفَ يَصِيرُ عَنْهُمْ قَلْبُكَ الْكَافِ

فأجابه الصالح طلائع^(٢) :

خُلُومُكَ الْبَحْرُ عَمْرًا^(٣) ، ليس تُتَقَرَفُ^(٤)

أَنْهَامُنَا لِمَا نِي دُرُّهَا صَدَفُ

فَإِنْ يُجِدُ فَلْتَةً فِي الدَّهْرِ ذُو أَدَبٍ

تَجِدُهُ مِنْ بَحْرِكَ الرَّخَارِ^(٥) يَفْقَرُ

تُجِيلُ فِكْرَكَ فِي رَوْضِ الْقَوْلِ ، فَلَا

تَزَالُ تَخْتَارُ مَا تَجْنِي ، وَتَقْتَطِفُ

بَعَثَتْ مِنْهَا هَدِيَّةً فِي الْوَرَى جَلِيَّتْ

فَالْحُسْنُ وَقَفَ عَلَيْهَا لَيْسَ يَنْصَرِفُ

عَذْرَاءَ ، تُثَبِّتُ قَعْلَ الْوَاصِقِينَ لَهَا

قَدْ أَفَادَتْ جَمَالًا كُلَّ مَنْ يَصِفُ

(١) القصيدة بديوان أسامة ص ٨٦ و ١٨٣ .

(٢) النسي من ديوان أسامة ص ١٨٥ .

(٣) النسر : اللاء الكثير .

(٤) ترف ماء البئر : نزحه كله .

(٥) زغر البحر كنس : طمس وتغلا .

بَعَثَتْهَا دِيمًا^(١) تُرَوِّى بِهَا عَطَشَ الصَّاءِ
 دِي^(٢) ، وَمَسْكَنُهَا فِي سَوْرَةِ الصُّحُفِ
 تُرَوِّى الْقُلُوبُ بِهَا بَسَدَ الْبُيُوتِ ، فَلَا
 قَلْبٌ وَلَا عَيْنٌ ، إِلَّا وَهُوَ يَرْتَشِفُ^(٣)
 أَلْهَتْ عَنِ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ أَجْمَعِ
 إِذَا اسْتَبَانَ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا أَفْ^(٤)
 حَسَنَاءَ تَبَرُّزُ ، فِي عِرْنَيْنِهَا^(٥) شَمٌ
 مِنْ الْجَمَالِ ، وَفِي أَجْفَانِهَا وَلَفٌ^(٦)
 كَانَ أَمَامَهَا ، لَمَّا أَصْحَنَ لَهَا
 حُجُبًا ، أُنْبِجَ لَهَا مِنْ حَلِيِّهَا شَفٌ^(٧)
 بَدَتْ لَنَا كَمَصَابِيحِ الظُّلَامِ ، وَفِي
 رَأْيِ الْبُيُوتِ أَتَنَّا الرُّوضَةَ الْأَفْ^(٨)
 قَدْ رَهَقَتْ بِالْمَعَانِي عَنْ فَوَادِ شَجَرٍ
 قَدْ حَاضَتْ^(٩) الْإِثْقَالَانِ : الِهْمُ ، وَالْأَسَفُ

(١) ديم : جمع ديمة ، وهي المطر يدوم في سكون .

(٢) الصادى : العطشان .

(٣) أف من كفرح : استنكف .

(٤) المرين : الأف . (٥) اللف من حركة : كثرة شعر الحاجبين والعينين .

(٦) الشف : القسط . (٧) الروضة الأف : التي لم ترع .

(٨) حاضه : كسره .

إِنْ يَبْقِيَهُمْ غَلْطَةٌ فِي الدَّهْرِ غَاتِبُهُ
 قَلْبٌ مَدَامَعُهُ فِي صَدْرِهِ تَكِيفُ^(١)
 وَرُبَّ صَغِيرٍ بَدَأَ ، مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهِ
 لِأَضْعَفِ النَّاسِ حَوْلًا^(٢) ، وَهُوَ مُنْعَطِفُ
 وَكَمْ مُصَافٍ جَنَّتُهُ فُرْقَةٌ ، فَقَدَا
 سَحَابُهُ يَنْدَسِمُ الْقُرْبُ يَنْكَشِفُ
 وَكُرْبَةٌ نَزَعَتْ عَنْهَا مَلَابِسُهَا
 وَالْقَلْبُ مِنْهَا يَثْوِبُ الْهَمُّ مُلْتَحِفُ
 وَحِينَ تَشْرِقُ أَنْوَارُ الشُّمُوسِ ، فَمَا
 يَقْرَأُ مَاضِي لَيَالٍ عَنْهَا السَّدَفُ^(٣)
 أَحْوَالُ مُرَكَّ ، مَجْدُ الدِّينِ ، وَاضِحَةٌ
 قَدْ كَانَ لِلدَّهْرِ فِي تَوَكِيدِهَا سَرَفُ
 بَرَقُ الْيَقِينِ بَدَأَ مِمَّا إِلَيْكَ ، فَمَا
 يَقْرَأُ خُلْبُهُ^(٤) ، بَلْ سَحْبُهُ تَكِيفُ

(١) وكف : قطر .

(٢) السدف : الغلظة .

(٣) الحول : الحلق ، والقدر : على التصرف .

(٤) البرق الخلب : اللطم الخلف .

لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ مِنَّا بِالْفَجَاحِ لِمَنْ
لَنَا بِأَمَالِهِ فِي الْقَصْدِ يَخْتَلِفُ^(١)
يَقُولُ حَاسِدُنَا ، وَالْحَقُّ أَنْ نَقْطَعَهُ
إِذْ شَمْسُهُ ، لَا كَيْثِلَ الشَّمْسِ ، تَنْكَسِفُ :
أَوْلَادُ رُزْيَكٍ لَا فَخْرَ كَفَخْرِهِمْ
حَازُوا لِلْفَآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَهُمْ يُنْظَفُ
وَكَمْ أَرَادَ الْوَرَى إِحْصَاءَ فَضْلِهِمْ
فِي الْكُرُمَاتِ ، فَمَا اسْتَطَاعُوا ، وَلَا عَرَفُوا
لَكِنَّهُمْ أَخَذُوا مَا اسْتَقِيلُ بِهِ
أَفْهَامُهُمْ ، وَإِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا وَقَعُوا
نُدْنِي الْفَقَى مِنْ يَدَيَّ رَبِّ الْغَى ، فَلَنَّا
بِهِ الْمَطِيُّ إِلَى أَوْطَانِهِمْ تَخِيفُ^(٢)
فِي غَيْرِنَا تَخْجَلُ الْأَمَالُ ، إِنْ قَصَدَتْ
وَمَا يَخِيبُ رَجَاءَ عِنْدَنَا يَتَقَفُ
وَقَدْ قَضَى اللَّهُ بِي تَأْلِيفَ تَمْلِكُمْ
وَكَانَ ظَنُّكُمْ أَنْ لَيْسَ بِتَأْلِيفُ

(١) اختلف إليه : تردد .

(٢) الوجيف : ضرب من سير الليل والإبل .

وَقَدْ أَتَاهُ لَكُمْ دَهْرٌ مَضَى ، فَأَذَا
 شِئْتُمْ مِنَ الدَّهْرِ فَأَقْتَصُّوا ، أَوْ انْتَصِفُوا
 وَاقْضُوا دِيُونَ الْهَوَى عَنْ مُدَّةٍ سَلَفَتْ
 تَشَاكِيًا ، وَعَلَى الْمُسْتَأْنَفِ اسْتَلِفُوا
 وَقَدْ بَدَأْنَا ، وَتَمَمْنَا ، فَهَلْ أَمَلٌ
 يَا عُرُو ، وَهَلْ مَدَمٌ قَدْ عَادَ يَنْدَرِفُ^(١)
 نَحْنُ الْوِلَالُ دَفَعْنَا غُصَّةَ عَرَضَتْ
 لَكُ ، فَلَمَّا عَرَضْنَا لَمْ تَكُنْ تَقِفُ
 وَحِينَئِذٍ أَهْلَكُكُمْ ، كَانُوا لَعِيشِهِمْ
 كَانَهُمْ عَذَابُ مَا غَابُوا ، وَلَا انْتَعَرَفُوا
 كَمْ جَهْدُ ذِي الْهَمِّ أَنْ يَبْقَى تَجَلُّدُهُ
 عَلَيْهِ ، وَالْهَمُّ فِي اسْتِمْرَارِهِ التَّلَفُ
 لَا تَأْتِقَنَّ عَلَى فِقْدَانٍ غَيْرِهِمْ
 فَيُفِي لِللَّوَمِ قَدْ جُرَتْ لَهُ عَطْفُ^(٢)
 قَوْمٌ إِذَا ارْتَفَعُوا قَدْرًا هَوَوْا هِمًّا
 فَالْمَكْرُمَاتُ ، لَمَعْرِى بَيْنَهُمْ طُرْفُ^(٣)

(١) خرفت العين معها : أسأله . (٢) اللوم : جمع للامة .

(٣) الطرفة : اللال للمستعجب .

وَلَا تَقُلْ إِنْ تَذَكَّرْتَ الْبِلَادَ أَسَى
بِأَنَّ قَلْبَكَ بِالْأَشْوَاقِ يُخْتَلَفُ
وَإِنْ دَوَّلَتْنَا كُنْتَ الْوَحِيدَ بِهَا
فَضْلًا ، فَكَيْفَ يَرَى مِنْكُمْ بِهَا خَلْفُ
عَلَيْكُمْ بِدَعِ (١) الْآدَابِ قَدْ وَفَّقْتَ
فَمَا لَهَا عَنْكُمْ فِي الدَّهْرِ مُنْخَرَفُ
مَنْ نَاشِدُ عَهْدَ ذَلِكَ الْاجْتِمَاعِ لَنَا
قَدْ أَصَابَتْهُ مِنْكُمْ نِيَّةٌ قَذْفُ (٢)
هُنَيْتَ أَهْلَكَ بِحَدِّ الدِّينِ ، فَانْتَجِعِ الْأَفْرَاحَ ، وَانْظُرْ ، فَإِنَّ الْخَيْرَ مُؤْتَفُ (٣)

قافية القاف

كتب الملك الصالح إلى أسامة هذه القصيدة (١) بخط يده :
أَيُّهَا الْمُنْقِذِيُّ (٢) أَنْتَ عَلَى الْبُعْدِ صَدِيقُ لَنَا ، وَنِعْمَ الصَّدِيقُ
لَيْسَ فِيمَا تَأْتِيهِ مِنْ يَرٍ أَعْمَالِكَ لِلطَّالِبِ الْحَقُّوقِ دُعُوقُ

(١) البدع بالكسر : الأمر الذى يكون أولاً .

(٢) فية قذف : بسيرة .

(٣) الائتلاف : الاستئناس ، والابتداء .

(٤) النمس من ديوان أسامة ص ١٣٦ ، والروستين ١ : ١١٦ .

(٥) لسبة إلى منفذ : أحد آباء أسامة ، وفى الروستين : للفتدى .

فَلِهَذَا نَرَى مُوَاصَلَةَ الْكُتُبِ تِيَامًا إِلَيْكَ مِمَّا يَلِيقُ
وَنُتَاجِكَ بِالْمُهَيَّاتِ ، إِذْ أَنْتَ بِالْقَائِمِ إِلَيْكَ خَلِيقُ
وَأَمُّ الْأُمُورِ ^(١) أَمْرُ جِهَادِ الْكُفْرِ ، فَانْتَمِعْ فَمِنْ دَنَا التَّحْقِيقُ
وَاصْلَتُهُمْ مِمَّا السَّرَابِ ^(٢) ، فَأَشْجَاهُمْ ^(٣) بِكُورٍ مِمَّا لَهُمْ وَطَرُوقُ
وَأَبَاحَتْ دِيَارَهُمْ ، فَأَبَادَ الْقَوْمَ قَتْلَ مُلَازِمٍ وَحَرِيقُ
وَانْتَهَرْنَا بِرَحْمَتِنَا بُرْءَ نُورِ الدِّينِ عَلِمًا مِمَّا بَانَ سَيِّفِيقُ
وَهُوَ الْآنَ فِي أَمَانٍ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا يَمْتَرِيهِ أَمْرٌ يُعَوِّقُ
مَا لِهَذَا الْمُهَمِّ مِثْلُكَ ، تَجِدَ الدِّينَ ، فَانْهَضْ بِهِ ، فَأَنْتَ حَقِيقُ
قَوْلُهُ ، لَا عَدَاهُ رَأَى ، وَلَا زَالَ لَدَيْهِ لِكُلِّ خَيْرٍ طَرِيقُ :
أَنْتَ فِي حَسْمِ دَاهِ طَافِيَةِ الْكُفَارِ ذَلِكَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَرْمُوقُ
فَاغْتَنِمِ بِالْجِهَادِ أَجْرَكَ ، كَيْ تُنْفَى رَفِيقًا لَهُ ، وَنِعْمَ الرَّفِيقُ
فَأَجَابَهُ أَسَامَةُ بِقَصِيدَةٍ ^(٤) مَعْلُومَةٍ :

كَمْ ، إِلَى كَمْ يُلْحَى الْمُحِبُّ الْمَشُوقُ وَهُوَ مِنْ سَكْرَةِ الْهَوَى لَا يُفِيقُ

(١) في الروضتين : المهم .

(٢) السرايا : جمع سرية ، وهي الجزء من الجيش .

(٣) أشجاء : أحزنه .

(٤) باقي القصيدة بدويان أسامة ص ١٣٦ .

قافية اللام

وكتب إليه الملك الصالح (١) :

قُلْ لِبْنِ مُنْقِذِ الذِّى قَدْ حَازَ فِي الْقَضْلِ الْكَمَالَ
فَلِذَاكَ قَدْ أَضْحَى الْأَنَا مُ عَلَى فَضَائِلِهِ (٢) عِيَالَا
وَقَرِيضُهُ حِنْدَ الظَّمَا يُنْفِسُهُمُ الْمَاءُ الزُّلَالَا
كَالْقُدْرُ وَالْيَاقُوتِ ، مَا سَكَنَ الْبِحَارَ ، وَلَا الْجِبَالَا
لَكِنْ يُجَاوِرُ قَيْضَ أَيْمَانَ ، وَأَحْلَامَا ثَقَالَا :
مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ يُحْرَمَ مِنْهُ لِي السَّحَرُ الْحَلَالَا
كَلًّا ، وَلَا يَشْكُو لِحُلِّ رَسَائِلِ مِنِّي كَلَالَا (٣)
كَمْ قَدْ بَعَثْنَا نَحْوَكَ الْأَشْعَارَ مُسْرِعَةً حِجَالَا
مِثْلَ الْحِثَانِ الْغَيْدِ (٤) تَاهَتْ فِي تَحَايِفِهَا دَلَالَا
بَذَلْتَ لَكَ الْمَمْنُوعَ ، ثُمَّ مَنَعْتَهَا مِنْكَ ابْتِدَالَا (٥)
وَصَدَدْتَ عَنْهَا حِينَ رَأَتْ مِنْ تَحَايِنِكَ الْوَصَالَا
مَا كَانَ مُرْسِلُهَا ، وَحَقَّكَ ، يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَلَالَا

(١) النس من ديوان أسامة ص ٣١٣ ، والروشتين ١ : ١١٧ .

(٢) في الروشتين : مكرمه .

(٣) السلال : الإعياء .

(٤) الغيد : جمع غيداء ، وهي التفتية لنا .

(٥) الابتذال : صد الميالة .

هَلَا بَذَلَتْ لَنَا مَقَالاً ، حِينَ لَمْ تَبْذُلْ فِعَالاً
 مَعَ أَنَّكَ تُؤَلِّكَ صَبْرًا فِي الْمَوْدَّةِ وَاحْتِمَالاً
 وَتُبْثِّثُكَ الْأَخْبَارَ إِنْ أَضَحَّتْ قِصَاراً أَوْ طَوَّالاً
 سَارَتْ سَرَايَانَا لِقَصْدِ الشَّامِ ، تَعْقِيفُ^(١) الرُّمَالِ
 تُزْجِي إِلَى الْأَعْدَاءِ جُرْدَ الْخَيْلِ أَنْبَاءً^(٢) تَوَالِي
 تَمْنِي خِفَانَا لِلْمُعَارِ^(٣) بِهَا ، وَتَأْتِينَا ثِقَالاً
 حَتَّى لَقَدْ رَامَ الْأَعَادِي مِنْ دِيَارِهِمْ اِرْتِمَالاً
 وَعَلَى الْوَعْدَةِ^(٤) مُعْشَرٌ لَمْ يَمْهَدُوا فِيهَا الْقِتَالَ
 لَمَّا نَأَتْ عَمَّنْ يَحْفُ بِهَا يَمِينًا أَوْ شِمَالاً
 نَهَضَتْ إِلَيْهَا خَيْلُنَا مِنْ مِصْرَ تَحْتَمِلُ^(٥) الرُّجَالَ
 وَالْبَيْضَ لَامِعَةً ، وَبَيْضَ الْمِنْدِ ، وَالْأَسْلَ الْهَالِ^(٦)
 فَدَدَتْ كَانَ لَمْ يَمْهَدُوا فِي أَرْضِهَا حَيًّا حِلَالاً^(٧)
 هَذَا ، وَفِي تَلٍّ الْمُجُولِ^(٨) مَلَانٌ بِالْقَتْلِ الْقَلَالِ

(١) اعتسف الطريق : خبط على غير هداية .

(٢) أنباء : يأتي بعضها خلف بعض .

(٣) المعار : الإغارة .

(٤) الوعدة : اسم حصن .

(٥) احتمله : حمله .

(٦) التمال : جمع ناعلة ، وهي المختلفة زلل المتل . وبيض الهند : السيوف . والأسل : الرماح .

(٧) الحلال : جمع حلة ، وهي القوم النزول ، وجماعة يوت الناس

(٨) موضع بالشام .

إِذْ مَرَّ مَرِيٌّ^(١) لَيْسَ يَلْوِي^(٢) نَحْوَ رُمُوتِهِ اشْتِغَالًا
وَاشْتِاقًا عَشَّكَرْنَا لَهُ أَهْلًا يُحِبُّهُمْ وَمَالَآ
وَسَرِيَّةُ ابْنِ فُرَيْجٍ الطَّائِي طَالَ بِهَا وَصَالَا
سَارَتْ إِلَيَّ أَرْضُ الْخَلِيلِ ؛ فَلَمْ تَدَعْ فِيهَا خِلَالًا^(٣)
فَلَوَانَ نُورَ الدِّينِ يَجْعَلُ فِعْلَنَا فِيهِمْ مِثَالَا
وَيُسَيِّرُ الْأَجْنَادَ جَهْرًا ، كَيْ يُنَازِلَهُمْ^(٤) زِيَالَا
وَيَفِي لَنَا ، وَلِأَهْلِ دَوْلَتِهِ بِمَا قَدْ كَانَ قَالَا
لَرَأَيْتَ لِلْإِفْرَنْجِ طَرًّا فِي مَعَاقِلِهَا اعْتِقَالَا
وَإِذَا أَبَى إِلَّا أَطْرَاحًا لِلنَّصِيحَةِ وَاعْتِزَالَا
عُدْنَا بِتَسْلِيمِ الْأُمُورِ لِحُكْمِ خَالِقِنَا تَعَالَى

فأجابه أسامة بقصيدة^(٥) مطلعها :

يَا أَشْرَفَ الْوُزَرَاءِ أَخْلَاقًا ، وَأَكْرَمَهُمْ فَضَالَا

وكتب الملك الصالح إلى أسامة بقصيدة^(٦) بخط يده :

(١) مري : أحد ملوك الفرنج الصليبيين Amary

(٢) يلوي : يبتذل .

(٣) اللال . جمع خل ، وهو الطريق .

(٤) هذه رواية الروضتين ، وهي أولى من رواية ديوان أسامة : تنازلهم .

(٥) باقى القصيدة فى الديوان ص ٢١٥ .

(٦) النسخ من ديوان أسامة ص ١٤٠ و ٢١٧ .

أَيُّهَا السَّائِرُ الْمُجِدِّ إِلَى الشَّامِ تَبَارَى^(١) رِابُهُ وَالْخَيُْولُ
خُذْ لِي بِلَدَةٍ بِهَا دَارُ تَجِدَ الدِّينَ^(٢) ، لَا رَيْعَ رُبْعًا بَعْمَا التَّمَاوُلُ
وَتَعْرِفَ أَخْبَارَهُ ، وَاقْرِهِ مِنَّا سَلَامًا فِيهِ الْعِتَابُ يَحُولُ
قُلْ لَهُ : أَنْتَ نِعَمَ ذُخْرُ الصَّدِيقِ الْيَوْمَ ، لَكِنَّكَ الصَّدِيقُ التَّوَلُّ
مَا ظَنَنَّا بِأَنْ حَالَكَ فِي الْقُرْبِ وَلَا الْبُعْدِ بِالْمَلَالِ تَحُولُ^(٣)
لَا كِتَابٌ ، وَلَا جَوَابٌ ، وَلَا قَوْلٌ بِهِ لِلْيَقِينِ مِنَّا حُصُولُ
غَيْرِ أَنَا نُوَاصِلُ الْكُتُبِ ، إِذْ فَصَّرَ مِنْكَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ الْوَصُولُ
ذَا كَرِينِ الْفَتْحِ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، فَالْصَّنْعُ مِنْهُ جَمِيلُ
لَمْ يَزَلْ فُتِّلْنَا لَهُ خَالِصًا ، وَهُوَ لِمَا شَاءَ فِي الْأَنَامِ فَعُولُ
جَاءَنَا بَعْدَمَا ذَكَرْنَاكَ فِي كُتُبِ أَنَا كُنْ مِنْ بَيْنِ مِنَّا الرُّسُولُ
أَنْ بَعْضَ الْأُسْطُولِ نَالَ مِنَ الْإِفْرِجِ وَالْأَيْفَالُ التَّامِيلُ
سَارَ فِي قَلْبِهِ ، وَمَا زَالَ بِإِلَهِ وَصِدْقِ النِّيَّاتِ يَنْبَغِي الْقَلِيلُ
وَبَقَايَا الْأُسْطُولِ لَيْسَ لَهُ بَعْدُ إِلَيَّ سَاحِلِ الشَّامِ وَهُوَلُ
فَحَوَى مِنْ عَسَا وَأَنْظَرُ طُوسَ^(٤) عُدَّةً أَمْ يُحِيطُ بِهَا التَّحْصِيلُ

(١) تبارى أى تبارى . وباراه : عارضه .

(٢) لقب أسامة .

(٣) حال العمى : تحول .

(٤) أنظر طوس : بلد ساحل بالشام .

جَمَعَ دِيوِيَّةٌ^(١) بِهِمْ كَانَتْ الْإِفْرِجُخُ تَسْطُو عَلَى الْوَرَى وَتَصُولُ
قَيْدَ فِي وَسْطِهِمْ مُقَدِّمُهُمْ يَهْدِي إِلَيْنَا ، وَجِيدُهُ مَقْشُولُ
بَعْدَ مَنَوَى جَمَاعَةً هَلَكَتْ بِالسَّيْفِ ، مِنْهَا الْقَرِيْقُ وَالْمَقْتُولُ
هَذِهِ نِعْمَةُ الْإِلَهِ ، وَتَعْدِيدُ أَيَْادِي الْإِلَهِ شَيْءٌ يَطُولُ
فَأَبْدَنُ قَوْلَنَا إِلَى الْمَلَكِ الْعَادِلِ ، فَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَأْمُولُ
قُلْ لَهُ : كَمْ تُمَاطِلُ الدِّينَ فِي الْكُفَّارِ ، فَاحْذَرْ أَنْ يَنْصَبَ الْمَطُولُ
مِيرَ إِلَى الْقُدْسِ ، وَاحْتَسِبْ ذَاكَ فِي اللَّهِ ، فَبِالسَّيْرِ مِنْكَ يُشْفَى الْعَلِيلُ
وَإِذَا مَا أَبْطَأَ مَسِيرُكَ فَالْقَهْ إِذَا حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

فأجابه أسامة بقصيدة^(٢) مطلعها :

أَيْنَ تَمِيحِي عَنَّا يَقُولُ الْعَدُولُ أَنَا بِالتَّهْجِرِ وَالنَّوَى مَشْغُولُ

قافية الميم

كان^(٣) لأسامة على ديوان الصناعة قبل أيام للملك للصلح في كل سنة
خروج كتان بمائة دينار ، فأحال بها تجارا من أهل الشام عن ثمن كسوة
قبضها منهم ، وتمادى مقامهم في الديار للعبرية ، إلى أن خرج منها ، فنفخوا
من الإطلاق ، ووصلوا إلى الشام ، ولم يقبضوا عما لهم في جهته شيئا ، فسألوه

(١) الديوية : لقب لطائفة من الصليبيين .

(٢) القصيدة في ديوان أسامة من ١٤٠ .

(٣) النس من هنا إلى آخر قصيدة الصالح في ديوان أسامة من ١٤٣ .

في رقعة يرفعونها إلى الملك الصالح ، فكتب إليه مطالعة ، ضمنها هذه الأبيات :

يُلَطُّ^(١) بِالَّذِينَ مِنْ مَوْلَاهُ مُسْلِمُهُ
حَتَّى يُخَلِّصَهُ السُّلْطَانُ وَالْحَكَمُ
لَكِنْ مَوْلَايَ يَقْضِي مَا اسْتَدَنْتُ ، وَلَا
يَلْقَى سُؤَالِي مِنْهُ الصَّدُّ وَالسَّامُ
فَكَفَّهُ الْبَحْرُ ، لَكِنْ مَوْجُهُ يَذَرُ^(٢)
وَجُودُهُ الْغَيْثُ ، لَكِنْ وَبْلُهُ نَعَمُ^(٣)

فأمر الملك الصالح بتجديد التوقيع ، ووفاء التجار ، وتخليد التوقيع
في الدواوين ، واستمرار الإطلاق ، وكتب إليه هذه القصيدة من نظمه بخطه :

أَقْسَمْتُ بِالْجُودِ مِنَّا ، إِنَّهُ قَسَمُ
وَبِالنَّوْءِ مِنْكُمْ ، إِنَّهَا رَجْمُ
إِنَّا لَنَحْفَظُ فِيكُمْ مَعَ بَعَادِكُمْ
شَرِيعَةً مَتَّعًا فِي دِينِنَا الْكَرَمُ
وَكُلَّمَا رَامَ وَاشٍ نَقْضَ مَذْهَبِهَا
أَضْحَتْ نَوَاسِدُهُ الْأَخْلَاقُ وَالشَّيْمُ

(١) يلط . يجمع من الحق .

(٢) البدر : جمع بدرة ، وهي كسب في سبعة آلاف دينار .

(٣) الويل : للطر الشديد الضخم .

لَسْنَا كَقَوْمٍ، وَلَا نُرْزَى^(١) عَلَى أَحَدٍ
وَلَوْ ، فَلَا رَجَوْنَهُمْ عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا^(٢)
بِمِلْنَا قَدْ حَكَمْنَا فِي إِيَّاكُمْ
دَهْرًا ، وَمَا حَكَمُوا فِيكُمْ بِمَا عَلِمُوا
لَمْ يَعْرِفُوا لَكُمْ قَدْرًا ، وَإِنْ كَرُمْتَ
أَخْلَاقُهُمْ ، وَعَرَفْنَا قَدْرَ فَضْلِكُمْ
وَلَيْسَ ذَلِكَ لِسَيِّءٍ غَيْرِ أَنَّهُمْ
بِالطَّبْعِ لَا تَنْفَقُ^(٣) الْآدَابُ عِنْدَهُمْ
وَالْعَرَبُ أَقْتَلُ دَاهٍ يَهْلِكُونَ فِيهِ
أَنْ تَمْلِكَ الْحُكْمَ فِي أَعْنَاقِهَا عَجْمٌ
رَفَعَتْ بِكَ ، بَجْدَ الدِّينِ ، هِمَّةٌ مَنْ
نَجْوَاهُ فِي سَمَوَاتِ الْمَلَأِ الْهِمَّةُ
إِذَا تَأَخَّرَتْ الْآدَابُ ، وَامْتَنَعَتْ
تَقَدَّمَتْ لَكَ فِي إِحْرَازِهَا قَدْ

(١) أُرْزَى عَلَيْهِ : عَابَهُ .

(٢) يَشِيرُ إِلَى تَسِيدَةِ الْأَسَاسَةِ ، يَتَابِعُ بِهَا بَعْضَ مَنْ أَصْلَ بِهِمْ ، وَأَوَّلُهُ :

وَلَوْ ، فَلَا رَجَوْنَا عَنْهُمْ ظَلَمُوا فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عَلِمُوا

(٣) هُنَّ : رَاجِ .

وَأِنْ نَظَمْتَ قَرِيضًا فِي مُكَاتَبَةٍ
فَالْبَحْرُ مَا زَالَ مِنْهُ الدُّرُّ يَفْتَقِمْ
فِي كُتُبٍ تَوَاتَتْ ضِمْنَهَا دُرَرٌ
مِنْ بَحْرِ طِلْكَ قَالُوا : إِنَّهَا كَلِمٌ
يَقُلُّ فِي فَضْلِهَا أَمْثَالُهَا ، فَإِذَا
تَلَوْنَهَا ، فَهِيَ الْأَمْثَالُ وَالْحِكْمُ
سَأَلْتَ مَا قَدْ أَجَبْنَا ، وَمَا بَرَحْتَ
فُصَادُنَا فِي الَّذِي نَحْوِيهِ تَحْتَكُمُ
إِنْ أَمْسَكَ الْقَيْثُ فَانْظُرْ مَا تَجِيءُ بِهِ
أَنْوَارُنَا^(١) ، فَغَى مَهْمَا شِدَّتْهَا دِيَمٌ
وَلَوْ حَلَلْتَ يَوَادِينَا عَلَى وَجَلٍ
أَتَقِنْتَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ أَنَّهُ الْحَرَمُ
وَالْأَرْضُ مَا بَرَحْتَ مِثْلَ الرَّجَالِ : يُسَى
مِنْ الرَّجَالِ لَهَا الْإِثْرَاءُ وَالْمُدُّمُ
كَذَلِكَ إِنْ قُلَّ حَظُّ الْوَدِّ عِنْدَكُمْ
فَالْحَظُّ كَالْوَزْنِ مَا بَيْنَ الْوَرَى : قِسْمُ

يَا غَائِبِينَ ، وَقَدْ أَضَحَّتْ مَنَازِلُهُمْ
 صُدُّورَنَا ، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا حَرَمٌ
 قُولُوا لَنَا : هَلْ وَجَدْتُمْ مَعَ جَفَائِكُمْ
 رِحَابَهَا الْيَوْمَ أَمْ حُصُونَكُمْ
 بِالسَّهْلِ مِنْهَا اخْتَصَمْتُمْ عَنْ مُعَانِدِكُمْ
 وَالنَّاسُ مِنْ قَبْلِ بِالْأَجْبَالِ تَقْصِمُ
 قَالُوا : لِلْعَارِفِ فِي أَهْلِ الْإِثْمِ ذِمَّةٌ
 وَقَدْ غَدَا بَيْنَنَا الْبِرْزَقَانُ وَالذِّمَّةُ (١)
 وَمَا يُبَاطِلُ (٢) بِدَيْنٍ تَدْعُونَ بِهِ
 حَتَّى يُخْلَصَهُ الشَّيْطَانُ وَالْحَكَمُ
 بَلْ عِنْدَنَا إِنْ سَأَلْتُمْ وَاقِعِينَ بِنَا
 فِي حَاجَةٍ نَعَمْ ، جَوَابُهَا نَعَمْ
 بِمُسَدَّتِكُمْ ، وَمَتَانَا الْآنَ قُرْبُكُمْ
 فَكَيْفَ يَمْتَدُّنَا فِي رُدِّكُمْ سَامٌ
 لَوْ أَبْصَرْتِ ، لَا رَأَتْ سُوءًا عُيُونُكُمْ
 جَوَارِحِي الْيَوْمَ فَبِكُمْ وَهِيَ تَخْتَصِمُ

(١) يشير إلى قول النبي (طه حنيفة ص ٢٥٤) :
 وبيننا ، لو رصيت ذلك ، مرفقة إن للعارف في أهل الإثم ذممة
 (٢) يباطل : يمنع من الحق .

تَقُولُ عَيْنِي لِقَدِي : قَدْ ظَفِرْتَ بِهِمْ
 دُونِي ، وَمَالَكَ مِثْلِي أَدْمَعُ سَجْمٌ^(١)
 وَقَوْلَ قَلْبِي لِعَيْنِي : إِنْ حَطَيْتُ^{٣٢}
 مَعَ بُعْدِهِمْ قَلِي الْأَشْوَاقُ وَالْأَلَمُ
 إِذَا رَأَيْتَ مَدِيكَ ظَلَّ يَمْلِكُهُ
 وَقَاؤُهُ ، وَبَنُو الدُّنْيَا لَهُ خَدَمُ

وكتب إليه الملك الصالح^(٢) :

أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تَمْنَى الْعَزَائِمُ
 وَتَمْنَى لَدَى الْحَرْبِ السُّيُوفُ الصَّوَارِمُ
 وَتُسْتَنْزَلُ الْأَعْدَاءُ مِنْ طَوْدٍ عِزِّهِمْ
 وَلَيْسَ سِوَى سُمْرِ الرَّمَاكِ سَلَامُ
 وَتُنْزَى جُيُوشُ الْكُفْرِ فِي حُفْرِ دَارِمَا
 وَيُوطَأُ جَاهَا ، وَالْأَنْفُ رَوَاغِمُ
 وَيُوفَى الْكِرَامُ النَّاذِرُونَ بِقُدْرِهِمْ
 وَإِنْ بُذِلَتْ فِيهِ النُّفُوسُ الْكَرَامُ

(١) سجم الجمع : سال . .

(٢) التمس من ديوان أسامة ص ٢٢٠ ، وبعده في الروضتين ١ : ١١٥ .

نَذَرْنَا مَسِيرَ الْجَيْشِ فِي صَقَرٍ ، فَمَا
 مَضَى نِصْفُهُ حَتَّى انْقَلَبَ وَهُوَ غَائِمٌ
 بَمَثْنَاهُ مِنْ مِصْرٍ إِلَى الشَّامِ قَاطِعًا
 مَقَاوِزَ^(١) ، وَخُدَّ^(٢) الْيَيْسَ^(٣) فَبَيْنَ دَائِمٍ
 وَنَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ الْجِفَارِ^(٤) إِذَا التَّظَلَّى
 بِجَنْبَيْهِ مَشْبُوبٌ^(٥) مِنْ الْقَيْظِ جَلَّاحٌ^(٦)
 وَصَارَتْ عُمُيُونُ الْمَاءِ كَالْعَيْنِ عِزَّةً^(٧)
 إِذَا مَا أَنَاهَا السَّكْرُ الْمُنَزَّاحُ
 فَمَا هَالَهُ مُبْدُ الدِّيَارِ ، وَلَا تَفَى
 عَزِيمَتُهُ جَهْدُ الظَّلَا وَالْبَسَامِ^(٨)
 يُهَجَّرُ^(٩) ، وَالْمُصْنَمُورُ فِي قَعْرِ وَكْرِهٍ
 وَيَسْرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ ، وَالنَّجْمُ نَائِمٌ

(١) المقاوز : جمع مفازة ، وهي القلادة .

(٢) الخد : البعير : الإسراع في السير .

(٣) اليبس : الإبل اليبس ، يخالط يياضها شقرة .

(٤) الجفار : أرض بين فلسطين ومصر ، أولها رفح ، كلها رمال يابس .

(٥) من شبت النار : انهدت .

(٦) الجلاحم : الجحيم .

(٧) عزة : من عز الشيء : فل .

(٨) السبوم : الريح الحارة .

(٩) هجر : سار في الهاجرة ، وهي نصف النهار ، عند زوال الشمس .

إِذَا مَا طَوَى الرَّاكِبَ وَقْتَ مَسِيرِهِ
 غَدَتْ عَوْضًا مِنْهَا الطُّيُورُ الْحَوَاسِمُ
 تُبَارِي خُمُولًا مَا تَزَالُ كَانَهَا
 إِذَا مَا هِيَ انْقَضَتْ نُسُورٌ قَشَائِمُ^(١)
 فَإِنْ طَلَبْتَ قَصْدًا تَسَاوَيْنَ مُرْعَةً
 قَوَادِمُهَا^(٢) فِي جَوْهَا وَالْقَوَائِمُ
 هِيَ الدَّمُ الْوَانَا ، وَصِنَعَ صَبَاحَةِ
 فَإِنْ طَلَبْتَ أَعْدَاءَهَا فَلَا دَائِمُ^(٣)
 تُصَاحِبُهَا عِلْمًا بِأَنْ سَوْفَ تَفْتَدِي
 بِهَا ، وَلَهَا فِي السَّكَافِرِينَ مَطَاعِمُ
 كَمَا أَنَّ وَحْشَ الْقَفْرِ مَا زَالَ مِنْهُمْ
 مَدَى الدَّفْرِ أَغْرَاسُ لَهُمْ وَوَلَائِمُ
 خُمُولٌ إِذَا مَا فَارَقَتْ مِصْرَ تَبْتَنِي
 عِدَا ، فَلَهَا النَّصْرُ الْمُبِينُ مُلَارِمُ

(١) انقضم : للسن من النسور والضم .

(٢) القوام : ريشات في مقدم الجناح .

(٣) الدم : جمع أدم . وهو الأسود . والأدام : القيود .

يَسِيرُ بِهَا ضِرْغَامٌ^(١) فِي كُلِّ مَازٍ
وَمَا يَصْحَبُ الضَّرْغَامَ إِلَّا الضَّرَامُ^(٢)
وَرُمَتْهُ عَيْنُ الزَّمَانِ ، وَحَايَمُ
وَيَحْيَى^(٣) وَإِنْ لَأَقَى النَّفِيعَ حَايِمُ
مَضَى طَاهِرَ الْأَنْوَابِ مِنْ كُلِّ رَبِيعٍ
شَهِيداً ، كَمَا تَمُضِي السَّرَاةُ^(٤) الْأَكْغَارُ
هَنِيئاً لَهُ ، يُسْقَى الرَّحِيقَ^(٥) ، إِذَا غَدَتْ
تَحْيِيهِ فِي الظُّلِّ الْحِسَانُ النَّوَامُ
وَلَوْ أَنَّا نَبْكِي عَلَى قَدْرِ هَالِكِ
لَقَلَّتْ لَهُ مِنَّا الدُّمُوعُ السَّوَامُ
وَلَكِنَّا بِنَا إِلَهِةَ نُفُوسِنَا
وَرُحْنَا ، وَمَا مِنَّا عَلَى الْبَيْعِ نَادِمُ
تَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ نُفُوسُنَا
إِذَا لَمْ تُصْبِحْنَا فِي الْحَيَاةِ الْمَآئِمُ

(١) ضِرْغَام . لُحْدٌ مِصْرِي .

(٢) الضَّرَامُ : جَمْعُ ضِرْغَامٍ : الْأَسَدُ .

(٣) أَسْمَاءُ قَوَادِ ثَلَاثَةٍ .

(٤) السَّرَاةُ : السَّادَةُ .

(٥) الرَّحِيقُ : الْخَمْرُ أَوْ أَلْيُهَا .

وَمَا خَامٌ^(١) إِذْ لَا قَى هُمَامٌ وَصِنُوهُ
 عَشِيَّةَ أَصْوَاتِ الرِّجَالِ هَمَامٌ^(٢)
 وَبَرْقِيَّةٌ^(٣) شَامُوا الشُّيُوفَ ، فَلَمْ يَعْشُرْ
 لِبَارِقِهَا فِي سَاحَةِ الشَّامِ شَامٌ
 وَأَفْنَاءُ^(٤) جُنْدٍ ، لَوْ تَوَجَّهَ بَجْمِهِمْ
 لِرُومِيَّةٍ جَالَتْ عَلَيْهَا لِلْقَاسِمِ
 وَجَعُ مَتَالِيكِ بِأَفْمَالِنَا اقْتَدَوْا
 فَكَلَّمُهُم بِالطَّنِّ وَالضَّرْبِ عَالِمٌ
 وَسِنْسِيسٌ^(٥) قَدْ شَادُوا الْحَالِي يَفْعَلُهُمْ
 وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْعَوَالِي دَعَامٌ^(٦)
 وَتَمَلَّجَةٌ^(٧) أَضْحَوْا بِنَا قَدْ تَأَسَّدُوا^(٨)
 فَمَا لَهُمْ فِي الْمَشْرِكِينَ مُقَاوِمٌ

(١) خام عنه : نكس وجين . والصنو : الأخ .

(٢) المهمة : الكلام الخفي ، وتردد الزفير في الصدر من الهم .

(٣) برقية : طائفة من الجيش المصري ، قدم أسولهم من برقة .

(٤) الأفناء : الأخلاط . وجالت عليها القاسم ، يريد : انهزمت . ورومية : روما .

(٥) فرقة من الجيش .

(٦) العوالي : أعالي الرماح .

(٧) قبائل في الجيش المصري .

(٨) تأسد : سار كالأسد .

وإِنْ جُذِمَا^(١) لَمْ يَرْكَنْ قَطُّ مِنْهُمْ
 قَدِيمًا لِحَبْلِ الْكَفْرِ بِالشَّامِ جَاذِمٌ^(٢)
 جُيُوشٌ أَقْدَنَاهَا اغْتِرَامًا وَنَجْدَةً
 فَمَلَأْنَا مِنْهُمْ ، وَمِنَّا الْعَزَائِمُ
 إِذَا مَا أَتَارُوا النِّمْعَ فَالْتَفَرُّ عَابِسُ
 وَإِنْ جَرُّدُوا الْأَسْيَافَ فَالْتَفَرُّ بِأَسِمُ
 وَلَمَّا وَطُوا أَرْضَ الشَّامِ تَحَالَفَتْ
 فَأَضَتْ بِجَمِيعِ عُرُبِهَا وَالْأَعَاجِمُ
 وَوَاجَهَهُمْ بَجْعُ الْفَرَنْجِ سَمَلَةً
 تَهَوُّنٌ عَلَى الشُّجَمَانِ مِنْهَا التَّهَزُّؤُ
 فَلَقَوْهُمْ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ ، وَانْطَوُّوا
 عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَنْفُجْ مِنْ الْكَفْرِ نَاجِمٌ^(٣)
 وَمَا زَالَتْ الْحَرْبُ الْعَوَانُ^(٤) أَشَدَّهَا
 إِذَا مَا . تَلَاقَى الْعُسْكَرُ الْمُتَصَادِمُ

(١) من قبائل الجليش المصري .

(٢) جذمه : قطعه .

(٣) نجم : ظهر .

(٤) الحرب العوان : هي التي قوتل فيها مرة بعد مرة .

يُسَبِّحُهُمْ مَنْ لَاحَ بَجْمُومٍ لَهُ
بِلَجَّةٍ بَحْرٍ مَوْجُهَا مَدَاطِمُ
وَحَسْبُكَ أَنْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقَوْمِ فَارِسُ

مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا وَهَوَ لِلرَّمْحِ حَاطِمُ ^(١)
وَعَادُوا إِلَى مَلِّ الشُّيُوفِ ، قَطَعَتْ
رُهُوسٌ ، وَحَزَّتْ لِلْفَرَنْجِ غَلَامِيمُ ^(٢)
فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَلِكَ مُخْبِرٌ

وَلَا قِيلَ : هَذَا وَحْدَهُ الْيَوْمَ سَالِمٌ
كَذَلِكَ مَا يَنْفَكُ تُهْدَى إِلَى الْعِدَا
وَاللُّوْحُسِ أَغْرَاسٌ لَهُمْ وَمَاتِمُ
وَتَشْرِي لَهُمْ آرَاؤُنَا وَجُيُوشُنَا

بِدَاهِيَةٍ تَبْيِضُ مِنْهَا الْمَقَادِمُ ^(٣)
تَقْتُلُهُمْ بِالرَّأْيِ طَوْرًا ، وَتَارَةً
تَدُوسُهُمْ مِنَّا لِلذَّاكِي الصَّلَادِمُ ^(٤)

(١) الحطم : الكسر .

(٢) الفلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ، أو رأس الملقوم .

(٣) مقدم الدين كحسن ومظلم : ما يلي الأنف ، ومن الوجه : ما استقبلت به .

(٤) الصلدم كزرج : الأسد ، والصلب الشديد الحافر . ولذا كن من الخيل : ما أتى عليها

بعد قرحها سنة وستان .

وَمَا التَّائِبُ الْحَمِيدُ إِلَّا الَّذِي يُرَى
 مَعَ الْعِزِّ فِي أحوَالِهِ ، وَهُوَ حَازِمٌ
 وَقَدْ غَرِقَ الْكُفَّارُ مِنْهُ بِمَقَرِّهِ
 سَحَابُ انْتِقَامٍ عِنْدَنَا مُتَرَاكِمٌ
 فَكَيْفَ إِذَا سَأَلَتْ عَلَيْهِمْ سُؤْلُنَا
 وَجِئْتُمْ لَنَا تِلْكَ الْبَحَارُ الْخَضَارُ (١)
 وَمَا نَحْنُ بِالْإِسْلَامِ لِلشَّرِكِ هَازِمٌ
 وَلَكِنَّا الْإِيمَانُ لِلْكَفْرِ هَادِمٌ
 فَقُولُوا لِلنُّورِ الدِّينِ ، لَا قُلْ حَدُّهُ
 وَلَا حَكَمَتْ فِيهِ أَلْيَالِي النَّوَاشِمِ (٢) :
 تَجَهَّزْ إِلَى أَرْضِ الْمَدُونِ ، وَلَا تَهِنِ
 وَتُظْهِرْ قُوَّتَ أَنْ مَضَتْ مِنْكَ حَارِمٌ (٣)
 فَمَا مِثْلُهَا تُبْدِي اخْتِفَالًا بِهِ ، وَلَا
 تُعْصِ عَلَيْهِا لِلْمُلُوكِ الْأَبَاحِ (٤)

(١) الْخَضَارُ : جَمْعُ خَضِرٍ ، وَهُوَ الْكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(٢) النَّوَاشِمِ : النِّظَامِ .

(٣) حَارِمٌ : مَعِينَةٌ .

(٤) الْأَبَاحُ : جَمْعُ ابْتِهَامٍ .

فَمِنْكَ مِنَ الْطَّافِ رَبِّكَ مَا بِهِ :
 طَلَمْنَا يَقِينًا أَنَّهُ لَكَ رَاحِمٌ
 أَهَادَكَ حَيًّا بَعْدَ أَنْ زَمَّ الْوَرَى :
 بِأَذِكْ قَدْ لَاقَيْتَ مَا اللَّهُ حَاسِمٌ
 بَوَقْتُ أَصَابَ الْأَرْضَ مَا قَدْ أَصَابَهَا
 وَحَلَّتْ بِهَا تِلْكَ الدَّوَاهِي الْمَظْلَمُ
 وَخَسِمَ جَيْشُ الْكُفْرِ فِي أَرْضِ شِزْرِ
 فَيَسِيقُ سَبَابًا ، وَاسْتَحِلَّتْ مَحَارِمُ
 وَقَدْ كَانَ تَارِيخُ الشَّامِ وَهَلَكُهُ
 وَمَنْ يَحْتَوِيهِ أَنَّهُ لِكَ عَادِمُ
 فَقُمْ ، وَاشْكُرِ اللَّهَ الْكَرِيمَ بِنَهْضَةٍ
 إِلَيْهِمْ ، فَشَكَرُ اللَّهَ الْخَلْقِ لِأَزِمُ
 فَحَنُّ عَلَى مَا قَدْ عَهْدَتْ : زُرُوعُهُمْ
 وَنَحَافُ جَهْدًا أَنَّنَا لَا نُسَالِمُ
 وَغَارَاتُنَا لَيْسَتْ تُفَقِّرُ^(١) عَنْهُمْ
 وَلَيْسَ يُنَجِّي الْقَوْمَ مِنْهَا الْهَزَامُ

وَأَسْطُولَنَا أَضْمَانُ مَا كَانَ سَارًّا
 لِإِيَّاهُمْ ، فَلَا حِصْنَ لَهُمْ مِنْهُ حَاسِمٌ
 وَتَزَجُّو بِأَنْ تَبْجَحَ^(١) بِأَقْيَمِهِمْ
 وَتُحْوِي الْأَسَارَى مِنْهُمْ وَالْقَتْلُ
 عَلَى أَنْفَانَا نِلْنَا مِنَ الْمَجْدِ مَا بِهِ
 مُفَاخِرُ أُمْلَاكَ الْوَرَى وَتَهْلُومُ
 وَلَكِنَّا تَبْنِي الثُّوبَةَ جَهْدَنَا
 وَطَاقَتَنَا ، وَاللَّهُ مُعْطٍ وَحَارِمٌ
 وَتُخْتِمُ بِالْحُسْنَى الْقَمَالَ ، وَإِنَّمَا
 تُزِينُ أَعْمَالَ الرُّجَالِ الْخَوَاتِمُ
 فَأَجَابَهُ أَسَامَةُ بِقَصِيدَةٍ^(٢) مَطْلَعُهَا :
 لَكَ الْقَضْلُ مِنْ دُونِ الْوَرَى وَالسَّكَاكِمِ
 قَمِنْ حَاتِمٌ ، مَا قَالَ ذَا الْقَفْرِ حَاتِمٌ

(١) الجوح : الإملاك ، والاستعمال ، كالاجتياح .

(٢) القصيدة بديوان أسامة ص ١٢٤ .

قافية التون

وكتب إلى أسامة^(١) :

وَرَدَتْ إِلَيْنَا مِنْكَ نَجْدَ الدِّينِ
بَيْضَاهُ تَخْطِرُ فِي الثِّيَابِ الْجُونِ^(٢)
حَرَزَتْ مِنْهَا حُرَّةٌ بَرَزَتْ لَنَا
حُسْنًا كَنَظْمِ الْوُلُوِّ الْمَكْنُونِ
خُرْسَاءٌ صَامِتَةٌ ، وَلَكِنْ أَخْبَرَتْ
مِنْهَا الْفَصَاحَةُ عَنْ لِسَانِ حَزِينِ
غُرَاءَ ، يُلْقَى الشَّكُّ عِنْدَ قُدُومِهَا
فَتَنْظَلُ تَكْشِفُهُ بِصُبْحِ يَقِينِ
تَشْكُو صَبَابَتَكَ الَّتِي آلَتْ إِلَى
دَاهٍ تَضَرَّمُ^(٣) فِي الْفَوَادِ دَلِيلِ
أَبَدَتْ إِلَى الْكَرَمِ الْبَابِ^(٤) تَمَشُّكَ
بِنَدَى كَفِيلِ بِالنَّجَاحِ صَبِيرِ

(١) النص من ديوان أسامة ص ١٩٧ .

(٢) الجون : الأسود ، يريد الخط .

(٣) تضرم : اختد حره .

(٤) الباب : الحالس .

قَدْ عَلِمْتَ مُعَمَّرَ التَّوَكُّلِ أَخْلَافَهُ
 فَلِذَاكَ مِنْهَا شِدَّةٌ فِي لَيْلٍ
 إِنْ مَنْ لَمْ يُتَّبِعْ صَنَائِعَ جُودِهِ
 مَنًّا ، وَلَيْسَ نَدَاهُ بِالْمُسْتَوْدِعِ ^(١)
 تَأْتِي الْقَوَانِي ، وَهِيَ أَبْكَارُ لَهُ
 قَصْدًا ، فَتَخْجَلُ لِلْأَيْدِي الْعُونِ ^(٢)
 حَتَّى إِذَا وَفَدَتْ عَلَيْنَا لَمْ تَجِدْ
 بَابًا ، لَعَمْرُكَ ، مُفْلَقًا مِنْ دُونِي
 وَجَوَابًا هَذَا عَقِيبُ هَلَاكِ مَنْ
 وَرَدَ الْمَنِيَّةَ ، رَاغِمَ الْعَرِينِ ^(٣)
 أَمَسَتْ أَكَاذِيبُ الْمَنَى تَقَادُهُ
 حَتَّى رَمَتْهُ إِلَى حَضِيضِ الْهُونِ
 إِذْ ظَنَّ أَنَا مِثْلُ مَنْ عَنْ مُلْكِهِ
 قَدْ رَاحَ عَنْهُ بِصَفْقَةِ الْمَمْبُونِ ^(٤)

(١) من : أنعم . وللمن : الامتنان . والممنون : المتطوع .

(٢) العوان من النساء : التي كان لها زوج .

(٣) العرين : الألف .

(٤) المبنون : المجدوع

خَلَّى حَلَالَهُ ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ :

مَنْعَاكَ مِنْ صَرْفِ الرَّدَى يَكْفِينِي ^(١)

أَمَلٌ لَعَمْرُكَ زَيْدَتُهُ لِعَيْنِهِ

خُدْعُ الْغُرُورِ ، وَسَكْرَةُ الْمَفْثُونِ ^(٢)

حَقٌّ إِذَا شَیْطَانُهُ قَالَ : ابْتَدِرْ ^(٣)

فِي سُرْعَةٍ لِلشُّكِّ وَالتَّمَكُّنِ

وَرَأَى بِأَنَّ الْحَشْدَ صَائِنٌ عِزَّهُ

مِنْ أَنْ يُذَالَ ^(٤) ، فَلَمْ يَكُنْ بِمَصُونٍ

نَدِبَتْ إِلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنْ قَبْلِهَا

لَمْ تَسْرِ أَسَادُ الشَّرَى بِعَرِينٍ ^(٥)

مِنْ آلِ رُزْبِكِ الَّذِينَ بِجُودِهِمْ

وَبِتَأْسِهِمْ خَلَطُوا مَعِيَ بِمَنُونٍ ^(٦)

(١) سرف الردى : نواجيه .

(٢) للفثون : الضال .

(٣) اجدر : عجل .

(٤) يذال : يهان .

(٥) الشرى : مأوى الأسد . والعري : جيل بهامة كثير السباع .

(٦) المنون : الموت .

صَحِيتَ مِنَ الْأَصْحَابِ كُلِّ سَمِيعٍ^(١)
يَجْزِي إِلَى الْهَيْجَا^(٢) بَنِي قَرِينِ
وَإِذَا بَدَا لَيْلُ الْحَوَاثِ دَاجِيَا
جَلَّتْهُ رُؤْيُ وَجْهِهِ الْمَيُّونِ
لَمْ يَلْبَثُوا ، حَتَّى بَدَأَتْ خَبْطًا بِدَمَائِهِ ، كَتَخَبْطِ الْمَجْنُونِ
فَلَجَا مِنَ الْحَشْدِ الَّذِي قَدْ غَرَّهُ
عَدَدًا لِحِصْنٍ لَمْ يَكُنْ بِمَحْصِينِ
وَأَتَوْا بِرَأْسِ فَارِغٍ لَمَّا يَكُنْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمْلُؤَ الْقَنَا بِرَزِينِ
أَمِيرَ ابْنِهِ ، وَتَوَزَعَتْ أُنُوَالُهُ
حَتَّى لَقَدْ بَلَغَتْ بِلَادَ الصُّينِ
وَعَتِيبُهُ فَعَحَّ الْإِلَهُ بِلُطْنِهِ
بَابَ الظُّهُورِ عَلَى مُدَاةِ الدِّينِ :
مَا بَيْنَ مَقْتُولٍ ، وَرَأْسِي نَفْسِهِ
غَرَقًا ، وَتَجْرُوحٍ ، وَبَيْنَ طَمِينِ

(١) السميع : السيد الكريم الموطن الأكناف الشجاع .

(٢) الهيجا : الحرب .

وَاسْتَهْلَكَ الْأَسْطُولُ مَنْ لَمْ يَلْقَهُ
 بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَلَى الْفُلْبَاءِ^(١) بِضَنَيْنِ
 قَرْنَ النَّسَاءِ إِلَى الرَّجَالِ ، فَأَشْبَهُوا
 خَلَطَ الْقَسَاوِرِ^(٢) بِالْفُلْبَاءِ الْعَيْنِ^(٣)
 وَالْعِدَّةُ الْعُظْمَى مِنَ الْعُدَدِ الَّتِي
 تَضْفُو^(٤) مَلَابِسُ مَرْدَهَا الْمُؤْصُونَ^(٥)
 بِضَوَارِمٍ قَدْ أَطْلَعْنَهَا لِلْوَعَى
 عِنْدِ الصَّفَالِ لَهَا أَكْفٌ قِيُونَ^(٦)
 فَلَاخِذِمٍ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَوْقِعٌ
 مِنْ دُونِهِ فِي الْقَدْرِ فَتَحُ حُصُونُ
 وَالطُّودُ^(٧) لَا يُنْجِي امْرَأً مِنْ حَيِّئِهِ
 فَلِذَاكَ لَا يُنْجِيهِ عُلُوُّ سَفِينِ

(١) الفلباء : جمع فلب ، وهي حد سيف ، أو سنان ، أو نحوه .

(٢) القساوير : جمع قسورة : الأسد .

(٣) العين : جمع عيناء ، وهي حسنة العينين واستهما .

(٤) الضفو : البوغ ، والكثرة .

(٥) وضن المعنى : نفي بضه على بض . والسر : اسم جامع للدروع وسائر الخلق .

(٦) القين : الحداد .

(٧) الطود : الجبل .

وَالشُّكْرُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ ، فَصَدَّدُ
 مُتَوَاصِلٌ مِنِّي ، لِمَا يُؤَيِّفُ
 فَلَوَّاتِي رُمْتُ السَّمَاءَ بِحَوْلِ بَبْ
 السَّالِكِينَ لَطَلَتْهَا^(١) بِيَمِينِي
 فِي كُلِّ أَرْضٍ لِي ثَنَاءٌ ، لَمْ يَزَلْ
 يُفْتَادُ مِنْهُ فَحْجَةُ الْقَسْرِينَ^(٢)
 وَلَعَلَّنَا أَوْلَ الْأَمِيرِ بَذَا إِلَى
 قَلْبٍ بِكُلِّ مَسْرُوقٍ مَشْحُونٍ^(٣)
 مِلْنَا لِنُفْلِحَ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ
 فِي وَدُنَا مَا زَالَ غَيْرَ ظَنِينٍ^(٤)
 وَلَهُ التَّوَسُّعُ فِي الْقِتَالِ ، وَشَأْنُهُ
 فِي نَظْمِهِ وَالشَّمْرِ غَيْرُ شُؤْنِي
 وَالْأَهْلُ قَدْ سَارُوا إِلَيْنَا ، وَرَأَيْنَا
 طَلَبُ أَفْعِكَكَ فَوَادِهِ الْمَرْهُونِ
 لَمْ يَبْقَ ، مَجْدُ الدِّينِ ، وَجَدٌ^(٥) ، فَأَغْنَيْنِ
 قَرَحًا أَتَيْحَ لِقَلْبِكَ الْمَحْزُونِ

(١) طَلَتْهَا : ظَلَمَهَا .

(٢) الْقَسْرِينَ بِالْكَسْرِ : وَرَدَ .

(٣) مَكْنَا بِالْأَصْلِ .

(٤) الظَّنِّينَ : اللَّتَمَ .

(٥) الْوَجْدُ : الْحُزْنُ .

وَأَسْأَلُهُمْ إِنْ شِئْتَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ
وَأَبْذُتَهُمْ مِنْ شَجْوِكَ^(١) الْمَحْزُونِ
وَأَقِمْ عَلَيْنَا مِنْ فُتُونِكَ مَلَبَسًا
عِنْدَ النَّشَاطِ ، فَأَنْتَ رَبُّ فُتُونِ
فَأَجَابَهُ أَسَامَةُ بِقَصِيدَةٍ^(٢) مِطْلَعُهَا :

أَجِبْ دَوَاعِيَ الْهَوَى بِالْأَنْصَحِ السَّجْمِ
وَبِحْ ، فَا الْحُبُّ فِي حَالٍ بِمَكْتَمِ
قَافِيَةِ الْبَيَاءِ

وَكُتِبَ إِلَى أَسَامَةَ :

يَا سَيِّدًا يَسْمُو بِهَيْمَتِهِ إِلَى الرَّتَبِ الْعَلِيِّ
فَيَنَالُ مِنْهَا حِينَ يُحَرِّمُ غَيْرُهُ أَوْفَى مَرْيَةٍ
أَنْتَ الصَّدِيقُ وَإِنْ بَعُدْتَ ، وَصَاحِبُ الشَّيْمِ الرُّضِيَّةِ
يَهْنِكَ أَنْ جُبُوشَنَا قَعَلَتْ فَمَالَ الْجَاهِلِيَّةِ
سَارَتْ إِلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ أَهْلَالِهَا مَائِنًا سَرِيَّةِ
فَتَفِيرُ هَذِي بُكْرَةً وَتُعَاوِدُ الْآخَرَى عَشِيَّةِ
فَالْوَيْلُ مِنْهَا لِلْفَرِّ نَجْ ، قَدْ لَقُوا جَهْدَ الْبِلِيَّةِ

(١) الشَّجْوُ : الْحُزْنُ .

(٢) الْقَصِيدَةُ بِدِيَوَانِ أَسَامَةَ ص ٤٤ .

جَاءَتْ دُمُوسُهُمْ تَلُو حُجَلَى رُهُوسِ السَّمْهَرِيَّةِ^(١)
وَبَدَائِعُ^(٢) قَدَّ قُسِمَتْ بَيْنَ الْجُنُودِ عَلَى السَّوِيَّةِ
وَحَلَاثِقُ كَثُوتَ مِنَ الْأَسْرَى نُقَادَ إِلَى الْمَفِيَّةِ
فَأَنْهَضَ ، قَدَّ أَنْبِيتَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، بِالْحَلَالِ الْجَلِيَّةِ
أَلِيمَ بِنُورِ الدِّينِ وَاعْلَمُهُ بِهَا تَيْكَ الْقَضِيَّةِ
فَهُوَ الَّذِي مَازَالَ يَخْلُصُ مِنْهُ أَفْعَالُ وَنِيَّةِ
وَيُبِيدُ جَمَعَ الْكُفْرِ بِالْبَيْضِ الرُّقَاقِ الْمَشْرِفِيَّةِ^(٣)
فَسَاءُ يَنْهَضُ نَهْضَةً يُفْنِي بِهَا تِلْكَ الْبَقِيَّةِ
إِنَّمَا لِلنُّصْرَةِ دِينُهُ أَوْ مُلْكِهِ ، أَوْ لِحِمِيَّةِ^(٤)

(١) السَّمْهَرِيَّةُ : الرَّمْعُ الصَّلْبُ .
(٢) فِي الْأَصْلِ : قَلَائِحُ ، وَلِلَّحْدِثِ مَا اخْتَرْتَاهُ هُوَ الصَّوَابُ .
(٣) الْمَشْرِفِيَّةُ : السِّيُوفُ .
(٤) الْحِمِيَّةُ : الْأَهْلَةُ .

فهرس القوافى

الصفحة	عدد	البيت
قافية الباء		
٣١	٥	لبس الحديد فزاد فى إعجابه بدر تظلّ الشمس من حجابه
٣٩	٣	مشيك قد نضا صبغ الشباب وحلّ البازى وكر التراب
٤٥	٥	قل للفقير عمارة : يا خير من أنحى يؤلف خطبة وخطابا
توات علينا فى الكتاب والكتب		
٤٧	١٥	بشائر من شرق البلاد ومن غرب من اليوم لا أغتر ما عشت بالحب
٥٤	٢٩	ولا أطلب العتي من الخل بالكتب
٥٨	٦٤	بأبى شخصك الذى لا يغيب عن عيائى، وهو البعيد والقريب
قافية التاء		
٣٩	٣	يا مانسا فوق الثرى رفقا ، فسوف تصير تحته
قافية التاء		
٤٠	٥	أيتها للغرور ، لا تقتر ، فراك خيبت

البيت	الصفحة	عدد
قافية الدال		
يا أمة سلكت ضللا بينا حتى استوى إقرارها وجحودها	٤٦	٤
أبي الله إلا أن يكون مؤيدا		
مدى الدهر ، منصور اليدين على العدا	٤٩	٩
فإذا تبدد شمل عقدك لا تأمنا من شاور السعدى	٥١	١
قافية الزاء		
يا مريض القلب بالقنب متى بالغو تبرأ	٤٠	٤
انظر إلى ذى الدارم قد حل ساحتها وزير	٤١	٤
أبي الله إلا أن يدين لنا الدهر ويخدمنا في ملكنا العز والتصر	٦٣	٥
قافية الشين		
عاذلى ، عذلك سهم فى الحشا كيف كتمانى ، وسرى قد فشا	٣١	٥
قافية الصاد		
يا راكبا ظهر للعاصى أو ما تخاف من القصاص	٤١	٢
قافية الضاد		
كم ذا يرينا الدهر من أحداثه عبرا ، وفيها الصد والإعراض	٤٢	٢

البيت	الصفحة	عدد
قافية الطاء		
ألا إن أشواقى بقلبي برحت	٣٢	٣
فأصبحت في بحر بعيد من الشاطئ		
هي البدر لكن الثريا لها قرط	٦٤	٤٤
ومن أنجم الجوزاء في نحرها سمط		
قافية التاء		
آدابك الغر بمجر ماله طرف	٧١	٣٦
في كل مع بدامن حسنه طرف		
علومك البحر غمر ليس تنزف	٧٦	٤
أسماعنا لمعاني درها صدف		
قافية القاف		
ولما حضرنا للسباق تبادرت	٣٢	٢
خيول ، ومن أهواأ أقدمها سبقا		
أنست بكم دهرنا فلما ظعنتم	٣٧	٤
استقرت بقلبي وحشة لتفرق		
أهدى لي القاضي الفقيه عرائسا	٥٣	٦
فيه بديع الوشى من تنميقة		
أيتها المنقذ أنت على البعد صديق لنا	٨١	١٣
ونعم الصديق		
قافية اللام		
وقاثر الطرف في الخلد الأسيل له	٣٣	٦
وردجنى ، حته أسهم المقل		
وإذا تشب الناريين أضالعي	٣٥	٢
قابلتها من عبرتي بسيل		
تجذب سمى ما يقول الموائل	٥٠	١
وأصبح له شغل من النزوشاغل		
قل لابن منقذ الذي	٨٣	٣٥
قد حاز في الفضل الكمالا		

البيت	الصفحة	عدد
أيها السائر الجسد إلى الشام تبارى ركابه والخيول قافية الميم	٨٦	٢٢
نحن في غفلة ونوم والموت عيون بقطانة لا تنام	٤٢	٢
نقول ولكن أين من يفهم ويعطوجه الرأي ، والرأى مبهم	٥١	٨
أقسمت بالجلود منا إنه قسم وبالمودة منكم إنها رحم	٨٨	٢٩
ألا هكذا في الله تمضي العزائم		
وتمضي لدى الحرب السيوف الصوارم	٩٢	٦٤
قافية النون		
ظلي يحير في الملاحه كلما كرت طرفي في بديع فتونه	٣٥	٤
أحباب قلبي ، إن شط المزاربكم فإنكم في صميم القلب سكان	٣٨	٤
يادهر ، حسبك ما فعلت بنا آراك تطلب عندنا إحنا	٤٣	٩
خض بحار اللوت في النقلة من دار الموان	٤٣	٤
أيا دهر ، أين للملوك الذين كانوا ، فأضحوا كأن لم يكونوا	٤٤	٢
وردت إلينا منك مجد الدين بيضاء تخطر في ثياب الجون	١٠٢	٤٣
قافية الهاء		
يا فأنما في هذه الدنيا ، أما آن انتباهك	٤٤	٢
قافية الباء		
ومنهف ثمل القوام سرت إلى أعطافه النشوات من عينيه	٣٦	٧
يا سيدا يسوء بهمته إلى الرتب العلية	١٠٨	١٦

الفهرس

الصفحة	الترض وقوافيه	الصفحة	الترض وقوافيه
٣	للمقدمة	٤٠	» الثاء .
٢٨	مراجع شعر ملاحم	٤٠	» الراء .
٣١	باب النزل :	٤١	قافية الصاد .
٣١	قافية الباء .	٤٢	» الضاد .
٣١	قافية الشين .	٤٢	» اليم .
٣٢	» الطاء .	٤٣	» النون .
٣٢	» القاف .	٤٤	» الهاء .
٣٣	» اللام .	٤٥	باب العقائد :
٣٥	» النون .	٤٥	قافية الباء .
٣٦	قافية الياء	٤٦	» الهاء .
٣٧	باب الإخوانيات :	٤٧	باب النحر :
٣٧	قافية القاف .	٤٧	قافية الباء .
٣٨	» النون .	٤٩	» الهاء .
٣٩	باب الحكمة :	٥٠	» اللام .
٣٩	قافية الباء .	٥١	باب السياسة :
٣٩	» التاء .	٥١	قافية الهاء .

الصفحة	الفرض وقوافيه	الصفحة	الفرض وقوافيه
٥١	» الليم .	٧٠	» الفاء .
٥٣	باب المدح :	٨١	قافية القاف .
٥٣	قافية القاف .	٨٣	» اللام .
٥٤	باب : بينه وبين أسامة :	٨٧	» الليم .
٥٤	قافية الباء .	١٠٢	» النون .
٦٣	» الزاء .	١٠٨	» الياء .
٦٤	» الطاء .	١١١	فهرس القوافي

ملحوظة

تقرأ كلمة (رُزَيْك) بضم الزاء، وتشديد الزاى مفتوحة ،
وسكون الياء .

